جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة بالمنوفية

التكامل الموضوعي في قصص القرآن
(قصة ابني آدم وقصة صاحب الجنتين وقصة قارون) (أنموذجاً)

إعداد الدكتورة

إيمان بنت عبدالإله محمد باجسير

أستاذ مساعد في قسم القرآن وعلومه
كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

التكامل الموضوعي في قصص القرآن (قصة ابني آدم وقصة صاحب الجنتين وقصة قارون) أنموذجاً

إيمان بنت عبد الإله بن محمد باجسير
قسم القرآن وعلومه، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية.
الإيميل: eabajseir@imamu.edu.sa

ملخص الدراسة

موضوع البحث: التعريف بالتكامل الموضوعي في قصص القرآن الكريم، وبيان أغراضه وأنواعه، والتطبيق على ثلاث قصص من قصص القرآن الكريم، (قصة ابني آدم وقصة صاحب الجنتين وقصة قارون).

أهمية الموضوع: التكامل الموضوعي في قصص القرآن الكريم ضرورة منهجية تبرز العلاقات التكاملية بين قصص القرآن والموضوعات بمعانيها الكلية الشاملة. فيظهر نتيجة لذلك التكامل الفريد الذي يتميز به كتاب الله، فالقرآن الكريم يأخذ بعضه بحجز بعض، لا يقبل التجزئة والانفصام، يشبه بعضه بعضًا ويصدق بعضه بعضًا، ويدل بعضه على بعض، ويثنى فيه الأمر، ويكرر، مما يبين التكامل والوحدة الموضوعية في جميع سوره وآياته، مما يقرر المتشابه ويؤكده ويظهر العناية به، وبذلك يتضح البناء المحكم المكتمل والصورة الوافية للعبرة من القصص القرآني.

وقد خلصت في هذا البحث إلى نتائج منها:

– التكامل الموضوعي في قصص القرآن هو إتمام موضوع معين بجمع أجزاءه من قصص القرآن لاستخراج الغاية الكبرى، وإظهار الجمال والتمام والترابط فيها.

- التكامل الموضوعي في الغاية والعبرة لقصص القرآن: هو الإدراك التـــامّ لحقـــائق موضوعات قصص القرآن؛ وذلك بجمع الغايات المتشابهة، واستخراج الغاية الكبرى والعبرة الموحدة.

- ظهر التكامل الموضوعي في القصص الثلاث في نظم أحداثها فاستفتحت بسبب التكبر وتوسطها الوعظ وجاء العقاب آخرًا واختتمت بالغاية.

الكلمات المفتاحية: التكامل، الموضوعي، قصة ابني آدم، قصة صاحب الجنتين، قصة قارون.

Objective Integration in the Stories of the Qur'an (the Story of my Son Adam, the Story of the Owner of the two Gardens and the Story of Qarun) as a Model

Iman bint Abdul Ilah bin Muhammad bagsir

Department of Quran and its Sciences, Faculty of Origins of Religion, Imam Muhammad Bin Saud Islamic University, Saudi Arabia.

E-mail: eabajseir@imamu.edu.sa

Abstract:

The topic of the research: introducing the objective integration in the stories of the Holy Quran, indicating its purposes and types, and applying to three stories from the stories of the Holy Quran, (the story of my son Adam, the story of the owner of the two gardens and the story of Qarun).

The importance of the topic: thematic integration in the stories of the Holy Quran is a systematic necessity that highlights the complementary relationships between the stories of the Quran and the topics in their holistic and comprehensive meanings. As a result, the unique integration of the book of Allah appears, the Holy Qur'an takes each other by reservation, does not accept fragmentation and dissociation, resembles each other and believes each other, shows each other, praises and repeats, which shows the integration and objective unity in all its surahs and verses, which determines the similarity and confirms it and shows care for it, thereby clarifying the completed hermetic construction and the full picture of the lesson of the Quranic stories.

In this research, I have concluded the following results:

- Objective integration in the stories of the Qur'an is the completion of a certain topic by collecting its parts from the stories of the Qur'an to extract the Grand end, and to show the beauty, completeness and coherence in them.

- Objective integration in the purpose and lesson of the stories of the Qur'an: it is the full realization of the truths of the topics of the stories of the Qur'an; by combining similar ends, and extracting the greater purpose and unified lesson.

- The thematic integration of the three stories appeared in the systems of their events, and they were provoked by arrogance and mediated by preaching, and punishment came last and ended with the goal.

Keywords: Integration, Objectivity, the Story of my Son Adam, the Story of the Owner of the two Gardens, the Story of Qarun.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ليكون للعالمين نذيرًا، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد (ﷺ)، وعلى آله وصحبه أجمعين،

أما بعد:

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣﴾ [الزُّمَر: ٢٣].

من خصائص القرآن الكريم التشابه والتثني، فهو يشبه بعضه بعضًا ويصدق بعضه بعضًا، ويدل بعضه على بعض، ويثنى فيه الأمر، ويكرر، مما يبين التكامل والوحدة الموضوعية في جميع سوره وآياته.

والقصة في القرآن الكريم هي جزء من هذا التكامل وجزء من الوحدة الموضوعية فيه، فنجد بعض القصص تكررت في سور متعددة، وبأساليب متنوعة، وطرائق شتى، ونجد بعضها لم يتكرر ولكن تكررت دلالتها مع القصص المشابهة لها، لتظهر الوحدة الموضوعية لهذه القصص ويتضح البناء المحكم المكتمل والصورة الوافية للعبرة منها.

فقصص اختلفت أساليبها بين إيجاز وإطناب، وقصص اختلفت صورها وأنواعها، والغرض هو تقرير المتشابه وتوكيده وإظهار العناية به سواء كان في قصة واحدة أو في عدد من القصص.

قال الزمخشري (ت ٥٣٨هـ): في الحديث عن التكرار في القصص القرآني: "ولأنّ في التكرير تقريرًا للمعاني في الأنفس، وتثبيتًا لها في الصدور.

ألا ترى أنه لا طريق إلى تحفظ العلوم إلا ترديد ما يراد تحفظه منها، وكلما زاد ترديده كان أمكن له في القلب وأرسخ في الفهم وأثبت للذكر وأبعد من النسيان"(١).

وغالبًا ما يظهر هذا التشابه بين قصص القرآن عند استنباط الوحدة الموضوعية للقصة، ثم تتبع الموضوع بجمع أجزاءه من قصص القرآن المتشابهة؛ لاستخراج التكامل الفريد والغاية الكبرى وإظهار الجمال والتمام والترابط.

ولأهمية هذا الموضوع في إظهار عظمة القرآن الكريم وتكامل قصصه بكل عناصرها، فإني رأيت البحث فيه والتطبيق على ثلاث قصص منه (قصة ابني آدم وقصة صاحب الجنتين وقصة قارون) وتتبع عناصر القصص لإظهار التكامل بينهم وتحقيق الغاية والعبرة الكبرى.

مشكلة البحث:

- ما هو التكامل الموضوعي في قصص القرآن؟
- هل يوجد تكامل موضوعي بين جميع قصص القرآن؟
- هل التكامل الموضوعي يستغرق جميع عناصر القصة؟

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- ارتباط موضوع الدراسة بأعظم الكتب، كتاب الله.

٢- إظهار موضوع الدراسة لجانب مهم من جوانب الإعجاز القرآني.

٣- بيان جانب جديد في الربط بين قصص القرآن الكريم بإظهار التكامل الموضوعي فيها.

---

(١) الكشاف للزمخشري، (٣/٣٣٤).

أهداف البحث:

١- التعريف بالتكامل الموضوعي في قصص القرآن الكريم.

٢- بيان أغراض وأنواع التكامل الموضوعي في القرآن الكريم.

٣- استخراج التكامل الموضوعي في (قصة ابني آدم وقصة صاحب الجنتين وقصة قارون).

الدراسات السابقة:

بعد البحث عن هذا الموضوع في مظانه، تبيـــن لي أن هذا الموضوع لم يتم طرحه في كتاب، أو رسالة جامعية.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من مقدمة، وفصلين، وسبعة مباحث، وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

- مقدمة.
- **الفصل الأول: التعريف بالتكامل الموضوعي في قصص القرآن وأغراضه وأنواعه.**
  - **المبحث الأول:** التعريف بالتكامل الموضوعي في قصص القرآن الكريم.
  - **المبحث الثاني:** أغراض التكامل في القصص القرآني.
  - **المبحث الثالث:** أنواع التكامل الموضوعي في قصص القرآن الكريم.
- **الفصل الثاني: التكامل الموضوعي في: (قصة ابني آدم وقصة صاحب الجنتين وقصة قارون).**
- **التمهيد:** الوحدة الموضوعية في القصص الثلاث.
  - **المبحث الأول:** التكامل الموضوعي في الزمان والمكان للقصص الثلاث.
  - **المبحث الثاني:** التكامل الموضوعي في الشخصيات والأحداث والحِوَار للقصص الثلاث.

- **المبحث الثالث:** التكامل الموضوعي في البلاغة والأسلوب للقصص الثلاث.
- **المبحث الرابع:** التكامل الموضوعي في الغاية والعبرة للقصص الثلاث.

● الخاتمة وفيها أهم التوصيات.

الفصل الأول

التعريف بالتكامل الموضوعي في قصص القرآن وأغراضه وأنواعه

المبحث الأول
التعريف بالتكامل الموضوعي في قصص القرآن الكريم

"**التكامل الموضوعي**" **مركب وصفي يقتضي التعريف بشقيه:** "التكامل"، و"الموضوعي".

أما التكامل لغة فأصله من الفعل: كَمَلَ الشيء يكمُل كَمالًا، ولغة أخرى: كَمُلَ يكمُلُ فهو كامل في اللغتين. والكمالُ: التّمَامُ الّذِي يُجَزّأ مِنْهُ أَجْزاؤهُ، تقول: لك نصفه وبعضه وكَمالُه. وأكملتُ الشيء: أجملته وأتممته(١).

والتكامل تفاعُل(٢)، **وتَكامَل الشّيءُ، أي:** كَمُل(٣). فالتكامل تدور مادة حول تمام الشيء بأجزائه مع معاني الجمال والحسن فيه أي التمام بالحالة المثلى.

أما الموضوعي فأصله من الوَضْعُ الذي هو: ضد الرّفْع. وَضعه يَضَعُه وَضْعًا وموضوع واسم المكان المَوْضِع والمَوْضَعُ، ووضَعَ عنهُ الدّين والدّم

(١) **انظر:** كتاب العين، للفراهيدي، (٣٧٨/٥). تهذيب اللغة، للهروي، (١٤٨/١٠). والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الفارابي، (١٨١٣/٥).

(٢) **انظر:** شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان الحميري، (٥٩٠٣/٩).

(٣) معجم ديوان الأدب، الفارابي، (٤٧١/٢).

وجمع أَنْوَاع الْجِنَايَة يَضَعُه وَضْعًا: أسقط عَنهُ، وَدين وَضِيعٌ: مَوْضُوع، ووضَع الشّيْء وَضْعًا: اختلقه. وتَوَاضَع الْقَوْم على الشّيْء: اتّفقوا عَلَيْهِ. ووضَعَ الشّيْء فِي الْمَكَان: أَثْبته بِهِا(١). فالموضوع يدور مادته في اللغة حول الحط والانخفاض الحسي والمعنوي، والإثبات الحسي والمعنوي.

والتكامل الموضوعي كمعنى مركب هو: إتمام معاني الحسن والجمال فيما أثبت وتعين من الموضوعات(٢).

والتكامل الموضوعي في قصص القرآن الكريم: هو إتمام المعاني المثلى في موضوع معين في قصة واحدة من قصص القرآن أو في عدد من القصص(٣). والمعنى هو إتمام موضوع معين بجمع أجزاءه من قصص القرآن لاستخراج الغاية الكبرى، وإظهار الجمال والتمام والترابط فيها.

(١) **انظر:** المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، (٢٩٤/٢). لسان العرب، لابن منظور، (٣٩٦/٨- ٣٩٩). تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، (٣٣٦/٢٢).

(٢) لم أجد في كلام العلماء تعريفًا للتكامل الموضوعي كمصطلح مركب، ولذلك عرفت به من خلال جمع التعريف اللغوي والتعريف الاصطلاحي لمصطلحات المركب.

(٣) لم أجد في كلام العلماء تعريفًا للتكامل الموضوعي في قصص القرآن الكريم كمصطلح مركب، ولذلك عرفت به من خلال جمع التعريف اللغوي والتعريف الاصطلاحي لمصطلحات المركب.

المبحث الثاني
أغراض التكامل في القصص القرآني

إبراز حسن المعاني القرآنية وجمالها

جمع الأجزاء المتناسبة يُظهر من الحسن ما ليس يظهره كل واحد من المعاني الجزئية على انفراده، فالحسن يُدرك في المعنى الجزئي كما يُدرك في اقتران المعاني الجزئية وتنوعها، ولكن تمامه وكماله إنما يكون من التناسب والائتلاف الذي يحدث بين المعاني الجزئية(١). فبالتناسب والائتلاف يتحقّق الحسن والجمال وينتفي بانتفائها؛ إذ إن المعلوم أن محاسن المعاني لا تظهر إلا بارتباط بعضها ببعض وائتلاف أجزائه وتناسبها، وهذا ما يظهره التكامل في قصص القرآن، فكل قصة تشير إلى معنى جزئي حسن، وباقتران المعاني بعضها ببعض يظهر التناسب والائتلاف والحسن والجمال. وقال بعض الأئمة: "من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض لئلا يكون منقطعًا"(٢). والقرآن الكريم متسق المعاني، ومؤتلف الأحكام، يؤيد بعضه بعضًا بالتصديق، ويشهد بعضه لبعض بالتحقيق(٣). قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النِّسَاء: ٨٢]. يقول الفخر الرازي (رحمه الله) (ت ٦٠٦هـ) في تفسيره: "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط(٤)".

---

(١) **انظر:** كتاب المناظر، الحسن بن الهيثم، (٣١٥).

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (٣٦/١).

(٣) **انظر:** جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (٥٦٧/٨).

(٤) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، الرازي، (١١٠/١٠).

تعزيز وتأكيد المعاني القرآنية

اتخذ القرآن الكريم من القصّة إسلوبًا لتأكيد بعض المعاني، وذلك عن طريق:

١- **عرض الأحداث في قصص متشابهة يظهر بمجموعها ترسيخًا لمعنى واحد، تكاملت أجزاؤه:** فيرد المعنى الواحد في صور وأزمان وأماكن مختلفة، مما يجعل القصص القرآني مثلًا صالحًا مستمرًا لجميع الأزمان والأحوال والأشخاص. فإبراز المعنى الواحد في قصص كثيرة وأساليب مختلفة لا يخفى ما فيه من التعزيز والتأكيد للمعنى المراد. قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢﴾ [الفُرقَان: ٣٢]، والترتيل التفريق بين الشيء المتتابع ومعناه في الكلام أن يأتي بعضه على أثر بعض على تؤدة وتمهل، ومن فوائد هذا التفريق التفسير والبيان الأفضل للوقائع والأحداث(١)، فإذا عُرضت المعاني بشكل تدريجي وبصور مختلفة كان ذلك أتم وأكمل للبيان.

٢- **عرض أحداث القصة الواحدة في سياقات مختلفة وألفاظ مترادفة لتعزيز معنى واحد:** حيث يتكرر ذكر القصة الواحدة في كثير من السور، فيتنوع السياق، ويتعدد الأسلوب، وتختلف العبارات، ليظهر التناسق بين الموضوع والمناسبة التي وردت القصة لأجلها، فتكون مناسبة للحالة المقصودة من سامعيها بمقتضى حالهم، وبحسب السياق الذي سيقت من أجله، فمنها ما قد يساق إلى المشركين، ومنها ما يساق إلى أهل الكتاب، ومنها ما يساق إلى

---

(١) **انظر:** تفسير القرآن، السمعاني، (١٨/٤). معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، (٨٣/٦). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (٢٠٩/٤). مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، الرازي، (٤٥٧/٢٤).

المؤمنين، وقد تكون إلى كليهما، وقد تساق للطائفة من هؤلاء في حالة خاصة، ثم تساق إليها في حالة أخرى(١). وبذلك يختلف مساق القصة الواحدة تبعًا لاختلاف الأحوال(٢). فاتساع الأمر في تكرير هذا القصص والأنباء مع تغاير أنواع النظم وبيان وجوه التأليف يظهر الأمر العجيب في إخراج صور متباينة في النظم بمعنى واحد(٣)، وكل ذلك من أجل تعزيز المعاني المرادة والتأكيد عليها بأفضل صورة وبكل شَكَّل معجز.

إبراز الوحدة الموضوعية للقرآن

القرآن الكريم كمال متكامل، تتجمع فيه كل الأجزاء وتترابط ترابطًا دقيقًا يأخذ بعضها بحجز بعض لتشكل كلًا موحدًا متناسقًا، لا يقبل التجزئة والانفصام(٤) قال أبو بكر بن العربي (رحمه الله) (ت ٥٤٣هـ): "إن ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة البيان علم عظيم"(٥). فالمعاني القرآنية تتكامل شيئًا فشيئًا في هذا القرآن(٦)، وإن من ينظر في أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل يعرف الصلة الوثيقة بين آياته كلها في ألفاظها ومعانيها ومراميها، ويتبين له بوضوح أن أول ما نزل مقدمة تقود إلى ما في هذا الكتاب العزيز من مقاصد وعبر، وأحكام وحكم، وآخر ما

(١) **انظر:** التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٦٩/١).
(٢) **انظر:** الموافقات، الشاطبي، (٢٧٤/٤).
(٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (٢٨/٣).
(٤) **انظر:** مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، د. عثمان جمعة ضميرية، (٣٩١).
(٥) سراج المريدين في سبيل الدين، ابن العربي، (١٤٤/٤– ١٤٥).
(٦) الأساس في التفسير، سعيد حوى، (١٨٣٨/٤).

نزل يوجز كلمّا ورد فيه من تلك المقاصد والعِبَر، والأحكام والحكم، فيلتقي الآخر بالأول في نسق واحد، ونسج فريد لا تناقض فيه ولا اختلاف(١). والقصص القرآني جزء من هذه الوحدة الموضوعية، وبه يكتمل المنهج القرآني الذي جاء بالرسالة الكاملة قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ۝٣﴾ [المَائـِدَة: ٣].

(١) دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل، (٣٤).

المبحث الثالث

أنواع التكامل الموضوعي في قصص القرآن الكريم

النوع الأول: التكامل الموضوعي باكتمال الحوار

يعد الحِوَار عنصرًا أساسيًا في القصة القرآنية، فبه تتضح المواقف، وتجلو الحقائق، ويشار عن طريقه إلى الغايات والعبر، ويعبر به عن المعنى المقصود، كما يُظهر الحِوَار صفات الشخصيات المذكورة في القصة، ويعبر عنها، ويكشف خفاياها، وقد يكون الحِوَار مفتاحًا لمعرفة الزمان والمكان للقصة، إذا لم يكونا مذكورين فيها.

ومما يُظهر التكامل الموضوعي في قصص القرآن الكريم اكتمال الحِوَار في القصة الواحدة، التي قد تكون متفرقة في القرآن الكريم وباكتمال الحِوَار فيها يظهر لنا المعنى المقصود للقصة بتمامه وبجميع حيثياته.

ومثال ذلك: حوار موسى (عليه السلام) مع أخيه هارون في قصة السامري، وبروز موضوع الصفات الرئيسية للقائد نتيجة لاكتمال الحِوَار:

فالقصة ذُكرت في سورتين من سور القرآن سورة الأعراف وسورة طه، وكان الحِوَار بين موسى وهارون في سورة الأعراف على جزأين، جزء قبل ذهاب موسى لميقات ربه قال تعالى: ﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤٢﴾ [الأعراف: ١٤٢]. وجزء بعد رجوعه قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٥٠ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝١٥١﴾ [الأعراف: ١٥٠ – ١٥١].

أما في سورة طه ذكر الحِوَار الذي بين موسى وهارون (عليهما السلام) بعد رجوع موسى من ميقات ربه قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ۝٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ۝٩٣ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ۝٩٤ قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ۝٩٥﴾ [طه: ٩٢ – ٩٥]. ومع أن الحِوَار في سورة الأعراف كان على جزأين إلا أن عذل موسى لأخيه هارون على تركه اتباع أمره لم يصرح به في هذه السورة، بل أشير إليه بأخذ رأسه ولحيته، وبجواب هارون له.

أما في سورة طه فلم يُذكر استخلاف موسى لأخيه هارون ولكن ذكر الحِوَار كاملًا وهو عذل موسى لأخيه هارون على تركه اتباع أمره وجواب هارون عن ذلك مع اختلاف الجواب في سورة الأعراف عن سورة طه.

والحِوَار الذي تظهره السورتان معا بدأ من مضي نبي الله موسى (عليه السلام) لموعد ربه وقوله لأخيه هارون: ﴿ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي﴾، أي: كن خليفتي في بني إسرائيل وأصلحهم بحملك إياهم على طاعة الله وعبادته، ولا تتبع من سلك الإفساد ولا تطع من عصى الله ولا توافقه على أمره(١). ثم برجوع موسى من ميقات ربه غضبان أسفا لائمًا هارون متوهمًا أنه قصّر في كف بني إسرائيل، آخذًا بشعر رأسِه وبلحيته يجره إليه من الغضب والعتب(٢) قائلًا له: يا هارون

(١) **انظر:** جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (٨٧/١٣). الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي، (٤٠٥/٢). محاسن التأويل، القاسمي، (١٧٨/٥).

(٢) **انظر:** إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، (٢٧٤/٣). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (٥١٢).

أي شيء منعك إذ رأيتهم ضلوا عن دينهم، فكفروا بالله وعبدوا العجل ألا تتبعني!؟ فعذله على عدم اتباع أمره ووصيته، أو لتركه اللحوق به وإخباره بضلالتهم(١). فرد عليه هارون بقوله: يا ابن أمي لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي واعتذر لموسى عن سبب تأخره عنه، حيث لم يلحقه فيخبره بما كان من هذا الخطب الجسيم، قال: إني خشيت أن أتبعك فأخبرك بهذا، فتقول لي: فرّقت بين جماعتهم، فتركت بعضهم وراءك، وجئت ببعضهم، ولم تحفظ وصيتي لك بالاستخلاف والإصلاح(٢). وقد بذلتُ جُهدي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي، فلا تسوقني سياقهم وتجعلني معهم ولا تشمت الأعداء بي(٣) فقال موسى لما تبين له عذر أخيه، وعلم أنه لم يفرط في الواجب الذي كان عليه من أمر الله، ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي﴾، مستغفرًا من فعله بأخيه، ولأخيه من سالفٍ سلف له بينه وبين الله: ﴿وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾(٤)، ثم رجع موسى إلى مخاطبة الذي أوقع بني إسرائيل في الضلال وهو السامري(٥).

(١) **انظر:** جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (٣٥٩/١٨). معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، (٢٩١/٥).

(٢) **انظر:** جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (٣٦٠/١٨). تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٣١٢/٥). لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (٢١١/٣).

(٣) **انظر:** إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، (٢٧٤/٣). تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٤٧٧/٣).

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (١٣٣/١٣).

(٥) البحر المحيط في التفسير، ابن حيان، (٣٧٥/٧).

ومن اكتمال الحوار تبين لنا الصفات الرئيسة للقائد وهي:

- الحرص والرأفة والرحمة بالمتبوعين ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.
- المسؤولية بالتفويض والإخلاف عند الغياب ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.
- الحزم وسرعة التصرف عند وقوع المشكلة ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾.
- عدم التسرع في الحكم ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾، ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾﴾.
- حسن الإنصات ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾.
- العدل ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

النوع الثاني: التكامل الموضوعي باكتمال الوصف

الوصف: هو تَحْلِيَةُ الشيء، وصفه بحِلْيَتِه ونَعْتِه(١). وأصل الوصف الكشف والإظهار، يقال: قد وصف الثوب الجسم، إذا نم عليه ولم يستره(٢). والوصف في القصة ينظم الأحداث ويظهر الشخصيات ويسهم في تشكيل البناء المكاني في القصص. والوصف إخبار عن حقيقة الشيء، وأحسن الوصف ما نعت به الشيء حتى يكاد يمثله عياناً للسامع(٣)، وأبلغه ما قلب السمع بصرًا(٤).

---

(١) **انظر:** المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد، (١٩٧/٨). معجم مقاييس اللغة، الرازي، (١١٥/٦).

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، (٢٩٥/٢).

(٣) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، (٢٩٤/٢).

(٤) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، (٢٩٥/٢).

والوصف في القصة يكون وصفا لـ :

- الشخصية([1]) كوصف شخصية فرعون في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [يُونس: ٨٣].
- المكان([2]) كوصف مسكن قوم سبأ قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍۖ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ [سَبَإ: ١٥ – ١٨].
- الحدث([3]) كوصف مراحل بناء ذو القرنين: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾﴾ [الكهف: ٩٦].

---

(١) **وصف الشخصية:** يؤدي إلى تحريك القصة، وعليه يكون محل الاهتمام في تتبع كشف حوادثها القصة، وقيادة الأحداث فيها والتفاعل معها.

(٢) **وصف المكان:** يعمل على تشكيل المكان وتقديمه ومنحه حضورًا وعمقًا دلاليًا. **انظر:** د. إبراهيم جنداري، المكان في النص الروائي، ص/٦، مجلة أفق، الموصل، العدد: ٢، لسنة ١٩٩٨م.

(٣) **الحدث:** هو "اقتران زمن بفعل، د. محمد زغلول سلام، دراسات في القصة العربية الحديثة، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د.ت): ١١. فالعِلَاقة وثيقة بين الفعل والحدث وبين الزمان، إذ إن بناء الحدث ترتيبه أي تواليه في الزمان. **انظر:** الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا، إبراهيم جنداري، ص/١٧٥.

● **الحال:** كوصف حال الجدار في قصة موسى مع الخضر: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ٧٧﴾ [الكَهف: ٧٧].

والتكامل الموضوعي باكتمال الوصف يكون في القصة الواحدة، كما يكون باكتمال الوصف في عدد من القصص.

مثال اكتمال الوصف في القصة الواحدة: قصة موسى (عليه السلام) واكتمال وصف حاله، وظهور حرصه على نفع أهله، وإدخال الراحة عليهم، وتحمله للمسؤولية:

قال تعالى: ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ٩ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ١٠﴾ [طه: ٩ – ١٠]، ليس في هذه الآية بيان أن موسى في أي حال كان؟ وفي أيّ وقت؟ لكن في موضع آخر بيان ذلك، وهو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ٢٩﴾ [القَصَص: ٢٩]، وهذا يدل أنه كان في حال السير والسفر حينما رأى النار، وقال في آية أخرى: ﴿إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ٧﴾ [النَّمل: ٧] ، وهذا يدل أنه كان في أيام الشتاء والبرد، حيث قال: ﴿لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ﴾. وقوله (عز وجل): ﴿أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى﴾: هذا يشبه أن يكون قد استقبلته الطرق؛ فلم يعلم الطريق الذي له من غيره، فقال: ﴿أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى﴾، أي: من يدلني ويرشدني على الطريق. أو أن كان قد ضل الطريق

وعدل عنه، فقال عند ذلك ما قال(١). فدلت الآيات بمجموعها أن موسى (عليه السلام) كان في حال سير وسفر وقد ضل الطريق والجو برد وشتاء ومع ذلك كله لم يُعَرّض أهله لمواضع هي مظنة لوجود الخطر بل أمرهم بالمكوث في مكانهم وذهب بنفسه يبحث لهم عمّا ينتفعون به مظهرًا المسؤولية الحقيقية للقائد.

مثال اكتمال الوصف في عدد من القصص: كاكتمال وصف إبراهيم (عليه السلام) وظهور الشخصية السويّة القدوة من خلال مجموعة من القصص التي ذكرت في القرآن:

فمن خلال قصة إبراهيم (عليه السلام) مع أبيه وقومه ظهرت صفة الشجاعة في قوله تعالي: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ۝٥٧﴾ [الأَنبِيَاء: ٥٧]، وقوله لهم: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٦٧﴾ [الأَنبِيَاء: ٦٧].

كما وُصف (عليه السلام) بالرشد في نفس القصة: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ۝٥١ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ۝٥٢﴾ [الأَنبِيَاء: ٥١ – ٥٢]. وقد ظهر في قصته (عليه السلام) مع الملائكة صفة الكرم والسخاء، قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ۝٢٤ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ۝٢٥ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ۝٢٦ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝٢٧﴾ [الذَّارِيَات: ٢٤ – ٢٧].

وفي نفس القصة يصف الله إبراهيم (عليه السلام) بصفتين: الحلم والإنابة، قال تعالي: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ۝٧٤ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ۝٧٥﴾ [هُود: ٧٤ – ٧٥].

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (٢٧٥/١٨). تأويلات أهل السنة، الماتريدي، (٢٧١/٧).

أما في ختام قصته مع إسماعيل (عليه السلام) فقد وُصف بالإحسان، قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥﴾ [الصَّافَّات: ١٠٣ – ١٠٥].

وقد اكتمل وصفه (عليه السلام) وظهر من خلال القصص ملامح الشخصية السويّة القدوة التي ينبغي أن تكون المثل الأعلى في الالتزام بأوامر الله والحرص على الدين.

النوع الثالث: التكامل الموضوعي باكتمال الأحداث

الحدث: الانتقال من حالة إلى حالة أخرى في قصة ما(١)، وهو اقتران زمن بفعل(٢)، فالعِلَاقة بين الفعل والحدث والزمان عِلَاقة وثيقة، ومن خلال الحدث تبدو القصة مرتبطة ومنتظمة الأجزاء. واكتمال الأحداث يعبر عن القصة برُمَّتها ويوضح موضوعها.

ومثال ذلك: اكتمال الأحداث في قصة موسى مع فرعون وقومه بعد حادثة إيمان السحرة وإقامة الحجة الكاملة على فرعون وقومه:

ففي سورة الأعراف كانت الأحداث كالتالي: ما حدث بين فرعون وقومه من اتفاق لاستعباد بني إسرائيل وتعذيبهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ١٢٧﴾ [الأعراف: ١٢٧].

---

(١) أنساق الحدث في شعر مهيار الديلمي، علي قيس خفاجي، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد: ٢٠١٩/٤٢م.، ص/٩٨٣.

(٢) دراسات في القصة العربية الحديثة، د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د.ت): ١١.

الحوار بين موسى وقومه بعد استعباد فرعون لهم واضطهادهم، قال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الأعراف: ١٢٨ – ١٢٩].

نزول العقوبة على فرعون وقومه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الأعراف: ١٣٠– ١٣٣].

رجاؤهم لموسى بأن يرفع الله عنهم العذاب ووعدهم له، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [الأعراف: ١٣٤ – ١٣٥].

انتقام الله من فرعون وقومه، وإغراقهم، قال تعالى: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الأعراف: ١٣٦].

وقد ذكرت سورة الشعراء بعض الأحداث التي لم تذكر في الأعراف وهي: أمر الله لموسى بأن يخرج بقومه، واتباع فرعون وجنوده لهم، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ

حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ٥٢ – ٦٠].

تقارب الجمعان وخوف بني إسرائيل، وتطمين موسى لهم، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ٦١– ٦٢].

وحي الله لموسى (عليه السلام) بأن يضرب البحر، وانفلاقه ليسير بني إسرائيل فيه: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ٦٣–٦٤].

نجاة موسى ومن معه: ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ٦٥].

فالأحداث حسب الآيات كانت كالتالي:

بعد إيمان السحرة كان الحدث الأول هو استعباد قوم فرعون لبني إسرائيل، ثم الحدث الثاني العقوبة التي حلت بفرعون وقومه، ورفعها بدعاء موسى، الحدث الثالث وحي الله لموسى بالخروج، وغضب فرعون من بني إسرائيل واتباعهم، الحدث الرابع خوف بني إسرائيل من تقارب الجمعان، ووحي الله لموسى بضرب البحر ليسيروا عليه، الحدث الخامس نجاة بني إسرائيل وموسى، وغرق فرعون وقومه في اليم.

والتكامل الموضوعي ظهر باكتمال الأحداث فظهر إمهال الله لفرعون وقومه وظهرت سنته (سبحانه وتعالى) بتدرج العقوبات وإقامة الحجة الكاملة؛ ليرجعوا إليه ويتوبوا ولكنهم نقضوا العهد فاستحقوا الهلاك أمام المستضعفين.

النوع الرابع: التكامل الموضوعي باكتمال الغاية

الغاية نهاية الشيء ومداه وأقصاه(١). والغاية القصد، والهدف(٢)، وهي الفائدة المرتجاة من الشيء، وهي ما لأجله وجود الشيء(٣) والغاية هي لب القصص القرآني إذ إن الحِوَار والحدث والوصف وجد لأجلها ولإبرازها والخلوص إليها.

واكتمال الغاية هو اكتمال يعبر عن الهدف والقصد الذي صيغت من أجله القصة أو القصص. **ومثال ذلك القصص التي وردت في سورة البقرة وقد أظهرت قدرة الله على الإماتة والإحياء** ، فقد ذكر الله تعالى خمس صور لقدرته على الإماتة والإحياء في الدنيا قبل الآخرة:

القصة الأولى: إحياء الله من قالوا لموسى (عليه السلام): لن نصدقك ﴿**حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ**﴾ أي عياناً، وذلك بعد أن حلت العقوبة بهم فأماتتهم بعظيم خطئهم الذي كان منهم(٤) ﴿**وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ۝٥٥ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝٥٦**﴾ [البَقَرَة: ٥٥ - ٥٦].

القصة الثانية: إحياء الله القتيل بعد أن أمر بني إسرائيل أن يضربوه ببعض البقرة ليحيا(٥)، ﴿**وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَ ٔۡتُمۡ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ۝٧٢**

---

(١) **انظر:** معجم مقاييس اللغة، الرازي، (٤٠٠/٤). لسان العرب، لابن منظور، (١٤٣/١٥). معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبدالحميد، (١٦٥٨/٢).

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبدالحميد، (١٦٥٨/٢).

(٣) التعريفات، الجرجاني، (١٦١).

(٤) **انظر:** جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (٨٥/٢). بحر العلوم، السمرقندي، (٥٤/١).

(٥) **انظر:** جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (٢٣١/٢). تفسير القرآن، السمعاني، (٩٤/١).

فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ [البَقَرَة: ٧٢ – ٧٣].

القصة الثالثة: إحياء الله الذين خرجوا من ديارهم فرارًا من الموت(١): ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ [البَقَرَة: ٢٤٣].

القصة الرابعة: إحياء الله الرجل الذي استبعد – بِحَسَبِ الْعَادَةِ– عِمَارَةَ القرية ووجود البناء والسكان، بعد أن باد أهلها وفني سكانها وسقطت حيطانها على عروشها:(٢): ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ [البَقَرَة: ٢٥٩].

القصة الخامسة: إحياء الله للطير بعد سؤال إبراهيم (عليه السلام) ربه أن يريه كيفية إحياء الموتى، فيزداد يقينًا برؤيته ذلك عيانًا إلى علمه به خبرًا(٣): ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ [البَقَرَة: ٢٦٠].

---

(١) **انظر:** المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (٣٢٧/١).

(٢) **انظر:** مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، الرازي، (٢٨/٧). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (٣٤٧/١). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (١١٢).

(٣) **انظر:** جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (٤٨٥/٥).

وفي هذه القصص الخمس يظهر التكامل في قدرة الله على الإماتة والإحياء بكل صورهما وأشكالهما، فالله قادر على إماتة وإحياء الفرد كما هو قادر على إماتة وإحياء الجماعة بل الألوف، وهو قادر على إماتة وإحياء الإنسان كما هو قادر على إماتة وإحياء غيره من المخلوقات. وقدرته على الإماتة والإحياء ظهرت أمام الفرد وأمام الجمع، فهو يميت بما يراه صالحًا لخلقه ويحيي بما يراه صالحًا لخلقه. يخفي كيفية الإحياء أو يظهرها وكل ذلك ليعلم الإنسان ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

الفصل الثاني

التكامل الموضوعي في (قصة ابني آدم وقصة صاحب الجنتين وقصة قارون)

التمهيد: الوحدة الموضوعية في القصص الثلاث.

عادة القرآن في قص القصص يكون بذكر طرف من القصة بما يتحقق به العبرة والموعظة، فالقرآن الكريم يأخذ من كل قصة أدل المواضع على العبرة ويعرض عمّا عداه(١).

وقد تتكرر القصة في سور متعددة، وبأساليب متنوعة. وقد تتكرر دلالات القصص لتظهر الوحدة الموضوعية لها، مما يقرر المتشابه ويؤكده ويظهر العناية به، وبذلك يتضح البناء المحكم المكتمل والصورة الوافية للعبرة من القصص القرآنية المتشابهة.

فقصة ابني آدم، وقصة صاحب الجنتين، وقصة قارون، اتفقت في عرض موضوع واحد وهو الكبر الظاهر والباطن والتركيز على أسبابه، فالكبر خلق باطن وأما ما يظهر من الأخلاق والأفعال فهي ثمرة ونتيجة له. والكبر بالمعنى الباطن هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير، وهذا الباطن له موجب واحد وهو العُجب أي: إعجاب المرء بنفسه وبعلمه وبعمله أو بشيء من أسبابه. وأما الكبر الظاهر فله أسباب منها سبب في المتكبر وهو العُجب ومنها سبب في المتكبر عليه وهو الحسد والحقد(٢). والكبر الظاهر يبدأ إما بإعجاب المرء بما

---

(١) **انظر:** التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٦٩/١).

(٢) **انظر:** إحياء علوم الدين، الغزالي، (٣٥٣/٣).

فضله الله به، وإما باحتقار واستصغار الغير، وينتهي بالكبر الباطن. والحسد يجر إلى الكبر الظاهر، وهو ازدراء واحتقار المحسود، فيحمل المرء على أن يحتقر أخاه؛ لأنه ما تُمني زوال تلك النعمة عنه إلا لأنه احتقره واستصغره مع تلك النعمة واستكثرها عليه(١)، وإن كان في باطنه قد لا يرى نفسه فوق من ازدراه(٢).

وقد ينتج الكبر الظاهر الكبر الباطن. والكبر الباطن كما هو معلوم يجر إلى المعصية بل إلى الكفر أحياناً. كما في قصة طرد إبليس من الجنة. فأول معصية وقعت إنما هي الحسد الذي جر إلى الازدراء، والازدراء من الناحية الأخرى أنتج كبرًا، والكبر أدى إلى المعصية، والمعصية طردت من رحمة الله(٣). قال بعض الحكماء: "أمهات الخطايا ثلاثة أشياء: الحسد والحرص والكبر"(٤).

(١) **انظر:** شرح الأربعين النووية، عطية سالم، (٣/٥٦).

(٢) **انظر:** إحياء علوم الدين، الغزالي، (٣/٣٥٣).

(٣) شرح الأربعين النووية، عطية سالم، (٣/٥٦ بترقيم الشاملة آليا).

(٤) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، السمرقندي، (٢٢٣).

المطلب الأول
قصة ابني آدم

تدور أحداث هذه القصة عن حسد بين الأقران وهو مما يكثر، لكن القصة أشارت إلى نتيجة مؤلمة قد تظهر عن الحسد، وهي حسد جر صاحبه إلى الازدراء؛ وهذا الازدراء أنتج كبرًا، والكبر أدى إلى معصية.

قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ [المائـدَة: ٢٧]، بدأت قصة ابني آدم (عليه السلام) بمشهد القربان(١) الذي قربه كل منهما لله (عز وجل)، فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر. فمن لم يتقبل منه صرح بقتل أخيه: ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾، ولما كان الحسد لأخيه على تقبل القربان هو الذي حمله على توعده بالقتل(٢) قال له أخوه: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ فإنما أُتيت من قبل نفسك، لا من قبلي، فلِم تقتلني؟!(٣).

وهذا الرد إجابة لسؤال الأخ الذي لم يتقبل منه أو لتعجبه، فكأنه قال: كيف يتقبل الله منك ولم يتقبل مني؟! وفي كلامه هذا ازدراء واضح. فلولا تزكيته لنفسه على أخيه ما رأى نفسه أولى بالنعمة منه(٤) كما رأى إخوة يوسف (عليه السلام) أنهم أولى بالمحبة من يوسف وأخيه، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ

---

(١) **القربان:** اسمٌ لكلِّ ما يُتقرَّب به إلى الله من صدقة أو ذبيحة أو غير ذلك. **انظر:** الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي، (٣١٦). لباب التأويل في معاني التنزيل، الخـازن، (٣٢/٢).

(٢) **انظر:** الكشاف للزمخشري، (٦٢٤/١). أمراض القلوب وشفاؤها، ابـن تيميـة، (٢٢). لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (٣٣/٢).

(٣) **انظر:** الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، (٦٢٤/١).

(٤) حسن التنبه لما ورد في التشبه، الغزي، (٣٧١/٦).

إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٨﴾ [يُوسُف: ٨](١). ثم أردف قائلًا: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٨﴾ [المَائِـدَة: ٢٨]، وهذا الكلام متضمن موعظة له لو اتعظ، وزجرًا له لو انزجر، ولهذا قال: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٩﴾ [المَائِـدَة: ٢٩](٢)، إثم قتلي وسائر آثامك التي أوجبت أن لا يتقبل منك(٣) قال ابن عباس (رضي الله عنهما): "خَوَّفَهُ النار فلم ينته ولم ينزجر"(٤). ومع اكتمال الموعظة إلا أن القتل قد حدث، قال تعالى: ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٣٠﴾ [المَائِـدَة: ٣٠]، فالحسد يدعو إلى جحد الحق حتى يمنع من قبول النصح(٥)، والحسد يجر إلى الازدراء، فاجتمع فيه داعي بطر الحق وداعي غمط الناس، فأنتج كبرًا(٦)، فعن

(١) **أي:** «ونحن جماعة فكيف أحب ذينك الاثنين أكثر من الجماعة؛ ونفعنا أكثر من نفعهما وأولو قوة، بنا يقوم معاشه وأسبابه، فكيف يؤثر هَؤُلَاءِ علينا؟! ونحن جماعة ونفعنا أكثر من نفعهما». **انظر:** تأويلات أهل السنة، الماتريدي، (٢١١/٦). بحر العلوم، السمرقندي، (١٨١/٢). معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، (٢١٨/٤). مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، الرازي، (٤٢٣/١٨). تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٣٧٢/٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٨٨/٣).

(٣) **انظر:** الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي، (٣١٦). معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، (٤٣/٣). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (١٧٩/٢).

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٨٨/٣).

(٥) **انظر:** إحياء علوم الدين، الغزالي، (٣٥٣/٣).

(٦) **انظر:** حاشية البجيرمي على الخطيب = تحفة الحبيب على شرح الخطيب، البُجَيْرَمِيّ، (٦٨/١). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (٤٣١/٢٢). التيسير بشرح الجامع الصغير، المناوي، (٥٠٦/١).

فعن النبي (ﷺ) قال: «الكبر بطر الحق، وغمط الناس(١)»، «بَطَرُ الحَقّ»: دَفْعُهُ وَرَدُّهُ على قائله، و«غَمْطُ النّاس»: احْتِقَارُهُمْ(٢). وقد جره هذا الكبر الناتج عن الحسد إلى معصية كبيرة (معصية القتل)، قال الطبري (ت ٣١٠) وابن الأثير (ت ٦٣٠) (﵀): غلب عليه الكبر واستحوذ عليه الشيطان، فاتبع أخاه فقتله(٣) ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

(١) رواه مسلم، في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، (ح/١٤٧)، (٩٣/١)، من حديث عبد الله بن مسعود (﵁) مرفوعًا بلفظه.

(٢) رياض الصالحين، النووي، (٢٠٣).

(٣) **انظر:** تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، (١٤٠/١). الكامل في التاريخ، ابن الأثير، (٣٩/١).

المطلب الثاني
قصة صاحب الجنتين

تدور أحداث هذه القصة عن عُجب جر إلى الازدراء، وهذا الازدراء أنتج كبرًا، والكبر أدى إلى الكفر.

بدأت قصة صاحب الجنتين بمشهد المحاورة بين الرجلين، ولكنه لما كان من الضروري وصف الجنتين التي أنعم الله بها على أحد هذين الرجلين؛ سُبق المشهد بذلك فقال تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ٣٢ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ٣٣﴾ [الكَهف: ٣٢ – ٣٣]، ومع هذا الإنعام وهذا الإكرام من الخالق (ﷻ) إلا إن صاحب الجنتين لما تحاور مع صاحبه لم يذكر إنعام الله عليه بالرغم من إعجابه بالخير الذي هو فيه، بل ذكر المنقصة في أخيه فازدراه واحتقره، قال تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ٣٤﴾ [الكَهف: ٣٤] أي: أنا أكثر منك مالًا وعشيرة ورهطًا وخدمًا وحشمًا(١)، وحاصل كلامه أنه ترفع على صاحبه بجاهه وماله(٢)، فأنتج هذا الازدراء كبرًا في نفسه. فالمتكبر ينظر إلى نفسه بعين الكمال، وإلى غيره بعين النقص، فيحتقره ويزدريه(٣). ثم دخل جنته يطوف بصاحبه فيها ويفاخره بها؛ ليُرِيه هذا الملك وهذا النعيم الذي لا ينفذ(٤)، قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ

(١) **انظر:** معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، (١٧١/٥). الكشاف للزمخشري، (٧٢١/٢). إرشاد العقل السليم لأبي السعود، (٢٢١/٥).

(٢) **انظر:** مفاتيح الغيب للرازي، (٤٦٣/٢١).

(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب، (٢٧٥/٢).

(٤) انظر: مفاتيح الغيب للرازي، (٤٦٣/٢١). أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، (٢٨١/٣).

﴿ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾ [الكهف: ٣٥ – ٣٦]، فجره الكبر إلى الكفر فأنكر فناء الجنة فهي باقية بقاء أمثالها لا يعتريها ما يبيدها، وانتقل من الإخبار عن اعتقاده دوام تلك الجنة، إلى الإخبار عن اعتقاده بنفي قيام الساعة فأنكر البعث، بل قد بلغ الكبر في نفسه مبلغًا عظيمًا فقال على وجه التهكم والاستهزاء: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى﴾، أي وإن كان بعث فكما أعطاني هذه النعم في الدنيا فسيعطيني أفضل منه لكرامتي عليه(١). وهذا جحود ظاهر بالله ودلالاته الجلية التي يعلمها كل أحد(٢). قال له صاحبه المؤمن واعظًا وزاجرًا عما هو فيه من الكفر: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾ [الكهف: ٣٧– ٣٨]، فأشار بموعظته إلى إمكان البعث؛ لأن الذي قدر على الإبداء أقدر على الإعادة، وقد خُلق فقيرًا لا غنيًا فعلم منه أنه خلقه للعبودية والإقرار لا للفخر والإنكار(٣). ثم أردف قائلًا: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴿٣٩﴾﴾ [الكهف: ٣٩]، ولكن الكبر منعه من قبول الموعظة، فأتلف الله ماله كله بأن أرسل على الجنة والزرع حسبان من السماء فأصبحت صعيدًا زلقًا، وهلكت أنعامه وسلبت أمواله، أو خسف بها بزلزال أو نحوه(٤)، ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾﴾ [الكهف: ٤٣].

(١) **انظر:** الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (٤٠٤/١٠). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، (٤٧٧). التحرير والتنوير، لابن عاشور، (١٥، ٣٢١).

(٢) **انظر:** تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١٥٨/٥).

(٣) **انظر:** غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري، (٤٣١/٤).

(٤) **انظر:** التحرير والتنوير لابن عاشور، (٣٢٦/١٥).

المطلب الثالث
قصة قارون

تدور أحداث هذه القصة عن عُجب أنتج كبرًا باطنًا، والكبر أدى إلى الكفر.

بدأت قصة قارون بالتعريف به فقال تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ﴾ [القَصَص: ٧٦]، فهو من قوم موسى (عليه السلام) ولكنه لم يلبث أن بطر النعمة واجترأ على ذوي قرابته فاعتدى واستطال عليهم بأنواع البغي كبرًا وعلوًا لكثرة أمواله، فتجاوز حده في الكبر والتجبر حتى طغى(١). وكان سبب طغيانه هو فضل الله عليه وإنعامه الوفير!! وهذا هو شأن الإنسان إذا رأى أمواله وقوته وأنه في غنى عن غيره استعظم ورأى قدره فوق قدر الغير فبغي وبطر فرحًا(٢)، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝﴾ [العَلَق: ٦ – ٧]، وقد وصف القرآن لنا كثرة أمواله فقال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ ۖ﴾ [القَصَص: ٧٦]، فقد كانت مفاتح خزائن أمواله لتثقل الجماعة القوية عن حملها فوصفت بالقوة لبيان الكيفية، وبالجماعة لبيان الكمية، فالعصبة تنهض بها بمشقة وجهد لكثرتها وثقلها(٣)، فقابل تلك النعم بالكفران والطغيان، وهذا هو أصل الكبر الباطن الذي

---

(١) **انظر:** جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، (٦١٥/١٩). بحر العلوم، السمرقندي، (٦١٨/٢). الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي، (٨٢٥). تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٢٥٣/٦). تفسير القرآن الكريم – القصص، محمد العثيمين، (٣٣٧).

(٢) **انظر:** تأويلات أهل السنة، الماتريدي، (٥٧٨/١٠). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (١٢٣/٢٠).

(٣) **انظر:** تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٢٥٣/٦). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (٦٢٣). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، (٢٢٨/٧).

ينتج الكبر الظاهر الذي رآه قومه فيه فوعظوه قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَاۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القَصَص: ٧٦ – ٧٧]، فرد على هذه الموعظة رد المتكبر المتعالي الذي أخذته العزة بالإثم فأعجب بنفسه(١)، فقال: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓۚ ﴿٧٨﴾﴾ [القَصَص: ٧٨]، أي: إنما أدركت هذه الأموال بكسبي ومعرفتي بوجوه المكاسب، وحذقي، أو على علم من الله بحالي، يعلم أني أهل لذلك(٢)، فنسب الفضل لنفسه، فبين الله أنه قد أهلك الذين افتخروا قبله بسعيهم فقال: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًاۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [القَصَص: ٧٨]، فلا صنع له في الحقيقة في ذلك أصلًا؛ لأن الله قد أفقر من هو أجل منه حيلة وأكثر علمًا، وأعطى أكثر منه من لا علم له ولا قدرة، فهو قادر على إهلاكه، وسلب ما معه وإفنائه، كما قدر على إيتائه(٣) ثم خرج على قومه وقد أظهر قدرته من الملابس والمراكب وزينة الدنيا، فقارون صاحب كبر باطن وظاهر وهو أشد أنواع الكبر، فزلزل الله به الأرض وابتلعته أمام قومه جزاء بطره وعتوّه(٤). ﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ [القَصَص: ٨١].

---

(١) **انظر:** المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (٣٠٠/٤).

(٢) **انظر:** جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (٦٢٦/١٩). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (٦٢٤).

(٣) **انظر:** نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (٣٥٤/١٤).

(٤) تفسير المراغي، المراغي، (٩٩/٢٠).

ومن القصص الثلاث يتبين لنا خطر الكبر الظاهر والباطن، وأن الكبر الظاهر يجر إلى الكبر الباطن لا محالة، والكبر الباطن يجر إلى المعصية والكفر والعياذ بالله.

ويظهر التكامل الموضوعي في القصص الثلاث بورود أهم مداخل الكبر ،بداية بالأخف وختامًا بالمهلك.

ففي قصة ابني آدم لم يكن الكبر كبرًا باطنًا متأصلًا في القاتل، بل جره الحسد إلى الازدراء، وغمط أخيه، وهذا الازدراء كبر ظاهر أنتج الكبر الباطن، وهو شعوره بأن قدره فوق قدر أخيه. ولذلك أنتج هذا الكبر معصية وليس كفرًا، فكان عاقبته استحقار نفسه في الدنيا والعذاب في الآخرة.

أما في قصة صاحب الجنتين فكان الإعجاب بالمال والثروات هو سبب لازدراء صاحبه، فجره هذا الازدراء إلى العجب بالنفس، واستعظامها، إذ إنه الأفضل والأقدر والأغنى، ثم جره هذا العجب إلى الكبر الباطن، حتى أنكر قدرة الله في إبادة الجنتين، وأنكر البعث فكفر، فكان عقابه واقع على الجنتين التي تكبر بهما وليس عليه.

أما في قصة قارون فقد كان متكبرًا كبرًا باطنًا ظاهرًا عليه؛ فاستعظم نفسه ورأى قدرها فوق كل أحد، فجره هذا الكبر إلى الكفر بالله فكان عقابه بخسفه هو وأمواله.

فأعظم درجات الكبر ما كان استعظام للنفس من الباطن إلى الظاهر.

المبحث الثاني
التكامل الموضوعي في الزمان والمكان

المطلب الأول
التكامل الموضوعي في الزمان

مفهوم الزمان: لفظ "الزمن" لم يرد في القرآن وإنما وردت الألفاظ الدالة عليه كـــ:

الوقت: قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾﴾ [الحجر: ٣٧ – ٣٨].

الحين: قال تعالى: ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَۚ ﴿٥﴾﴾ [هُود: ٥].

الدَّهْر: قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾﴾ [الإنسَان: ١].

العصر: قال تعالى: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾ [العصر: ١ – ٢]

الزمن في الاصطلاح: هو مرور الليل والنهار، وتصرم أجزائهما، فكلما مضى جزء منه خلفه جزء آخر يكون عوضًا منه. فالوقت الكائن الثاني غير الوقت الماضي الأول(١) ولا يخفى ما بين هذا المعنى والمعنى اللغوي من ارتباط وثيق.

الزمان في القصة القرآنية: المقصود به زمن حدوث القصة وأيضًا زمن نزول الآيات.

(١) الخصائص، ابن جني، (٢٦٦/١).

زمن حدوث القصة: من المعروف أن القرآن يشير إلى الزمن في غالب القصص من خلال الشخصيات والأحداث التي يتحدد بها الزمان.

ففي قصة ابني آدم لم يحدد القرآن الزمان ولكن أشار إليه بتحديد الشخصيات في القصة: فهما ابنا لآدم (عليه السلام) من صلبه(١)؛ لأن رسول الله (ﷺ) قد أخبر عن هذا القاتل الذي قَتَل أخاه: أنه أول من سَنَّ القتل(٢). كما دلت رواية عبد الله ابن مسعود (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) قال: «لا تُقتل نفس ظلمًا، إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها؛ لأنه أول من سن القتل»(٣).

ويتحدد الزمان أيضًا بالأحداث: فمما يؤكد أن القصة لابني آدم (عليه السلام) من صلبه جهل القاتل بكيفية الدفن، كما قال الطبري: "وهذا أيضًا أحدُ الأدلة على أن القول في أمر ابني آدم بخلاف ما رواه عمرو، عن الحسن(٤)؛ لأن الرجلين اللذين وصف الله صفتهما في هذه الآية، لو كانا من بني إسرائيل، لم يجهل القاتلُ دفنَ أخيه ومواراة سوأة أخيه، ولكنهما كانا من ولد آدم لصلبه، ولم يكن

---

(١) هما «ابنا آدم» في قول جمهور المفسرين لصلبه. **انظر:** المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (١٧٨/٢)، وقال أبو جعفر: "وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب، أن اللذين قرّبا القربان كانا ابني آدم لصلبه، لا من ذرّيته من بني إسرائيل". جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (٢٠٨/١٠). **وانظر:** بحر العلوم، السمرقندي، (٣٨٣/١). الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، (٢٧٠/١١). تفسير القرآن، السمعاني، (٢٩/٢). معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، (٤١/٣).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (٢٢٠/١٠).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، (ح/٣٣٣٥)، (١٣٣/٤).

(٤) عن عمرو، عن الحسن قال: كان الرجلان اللذان في القرآن، اللذان قال الله: "**واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق**"، من بني إسرائيل، ولم يكونا ابني آدم لصلبه، وإنما كان القُربان في بني إسرائيل، وكان آدم أول من مات». **انظر:** جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (٢٠٨/١٠).

القاتلُ منهما أخاه علِم سنّة الله في عبادِهِ الموتى، ولم يدر ما يصنع بأخيه المقتول"(١).

وتأكيد نسبة القصة لابني آدم من صلبه يدل على أن هذه القصة حدثت في بداية الزمان.

وفي قصة صاحب الجنتين لم يحدد القرآن الزمان ــ أيضًا ــ ولم يكن للشخصيات أو الأحداث دلالة على زمن حدوث القصة، لكنها بدأت بضرب المثل. والأمثال في القرآن قد تكون لقصة وقعت في الحقيقة، أو تكون مثلًا يعالج واقعًا موجودًا؛ ولذلك ذكر المفسرون عددًا من الأقوال:

فقيل قصة وقعت في الأمم المتقدمة وكتبهم على الحقيقة، وقيل ضرب من المثل للمعتبرين(٢) وقيل حقيقة لواقعة حدثت لرجلين أخوين من بني مخزوم(٣). فلم يشر القرآن لوقت حدوثها ولكنها جاءت بطريقة المثل الذي يمكن تكراره في جميع الأزمنة.

وفي قصة قارون أشار القرآن إلى زمن حدوث القصة من خلال الشخصيات، حيث ذكر أن قارون من قوم موسى فقال تعالى: ﴿**إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ**﴾ [القَصَص: ٧٦]، وقال تعالى: ﴿**وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ**﴾ [العَنكَبُوت: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿**وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ**﴾ [غَافِر: ٢٣ – ٢٤] ، وبناء على

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (٢٢٤/١٠).

(٢) **انظر:** تأويلات أهل السنة، الماتريدي، (١٧٠/٧). زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج الجوزي، (٨٢/٣). مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، الرازي، (٤٦٢/٢١).

(٣) **انظر:** معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، (١٦٩/٥). والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، (٧٢٠/٢). والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٣٩٩/١٠).

هذه الآيات يتضح أن زمن حدوث قصة قارون هو في زمن نبي الله موسى (عليه السلام).

والتكامل الموضوعي في زمن حدوث القصص الثلاث ظاهر فقصة في بداية الزمان وقصة في وسطه تقريبًا (عهد موسى) ومثل مضروب يجمع بين الأزمنة (الماضي– الحاضر– المستقبل).

وهذا التكامل الفريد يشير إلى أن القصة قد تقع متكررة مما يعطي أهمية بالغة لموضوعها.

زمن نزول آيات القصة: حسب ترتيب نزول السور في القرآن نرى أن سورة القصص نزلت أولًا ثم سورة الكهف ثم سورة المائدة، أي إن قصة قارون في نزول الآيات كانت أولًا، ثم قصة صاحب الجنتين، ثم قصة ابني آدم (عليه السلام). وهذا الترتيب يقرر موضوع القصص الثلاثة وفقًا للتدرج في المنع الذي يستخدمه القرآن لتربية نفوس المؤمنين، فالعجب والتفاخر المتأصل في النفس والذي يحدث الكبر الباطن كان من خلق الجاهلية، وقد كثر في القوم فجاء أولًا، والعجب الظاهر والازدراء بسبب الإعجاب بالنعم ووفرتها من العلم أو المال والولد والذي يجر إلى الكبر الباطن جاء ثانيًا، وإذا سلم المرء من الكبر الباطن المتأصل والكبر الظاهر بسبب العجب فليحذر الحسد؛ لأنه سيجره إليه. فالتحذير من الخلق الشنيع يأتي بالتحذير منه ثم من أسبابه التي قد تجر إليه.

فالدرجة الأعظم: هي التي طغى التكبر فيها بصاحبه، فأفرط في إظهار الجاه والمال، وفي ذكر محاسنه وفضائله ونسبتها لنفسه، واستنقص غيره واستصغره.

والدرجة الوسطى: هي التي نما التكبر فيها بالعجب بالنفس واستعظامها، وتجلت أعراضه بالاستعلاء على الناس، واستصغارهم.

والدرجة الأخيرة: هي التي كان الحسد والحقد فيها سببًا للكبر، فهو يرى أنه أحق بهذه النعمة ممّن يحسده ويحقد عليه.

المطلب الثاني
التكامل الموضوعي في المكان

مفهوم المكان: المكان في اللغة: الموضع الحاوي للشيء، وهو من كان يكون. وجمعه: أمكنة وأماكن(١). قال: ﴿ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾﴾ [طه: ٥٨] - ﴿وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا ﴿١٣﴾﴾ [الفُرقَان: ١٣] - ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ ﴿٢٠﴾﴾ [النِّسَاء: ٢٠].

وفي الاصطلاح: الْحَاوي للشيء المستقر، كمقعد الإنسان من الأرض، وموضع قيامه وإضجاعه(٢).

المكان في القصة القرآنية لا يحتل المكانة التي يحتلها الزمان؛ إلّا إذا كانت الأحداث ترتبط بالمكان ارتباطًا وثيقًا كأن يؤثر في تحركات الشخصيات، وأفعالهم وأقوالهم، فيُساهم في صيانتها وتوضيح سير الحدث وتسلسله، وذلك كذكر المسجد الحرام والمسجد الأقصى في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: ١]، لبيان البعد بينهما والإعجاز في الانتقال والعودة خلال ليلة واحدة. وقد يكتفى بالإشارة إلى المكان ضمنيًا، ترسيخًا لموضوع القصة. والمكان في القصة القرآنية المقصود به مكان حدوث القصة، وأيضًا مكان نزول الآيات.

---

(١) **انظر:** شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان الحميري، (٥٩٢٦/٩). تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، (١٨٩/٣٦). المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، (٧٧٢).

(٢) الكليات، أبو البقاء، (٨٢٦).

مكان حدوث القصة: في قصة ابني آدم لم تشر القصة للمكان صراحة ولا أشارت إلى تفاصيله، ولكن من خلال الأحداث بدا لنا وصفًا لمكان خاليًا إلا من ابني آدم ثم الغراب الذي بحث في الأرض، قال تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المَائـِدَة: ٣٠ – ٣١]. فالجرأة على القتل والتصريح بذلك يستدعي انفرادًا بالقاتل، ويستلزم منعًا أو دفعًا من الآخرين إن وجدوا، كما أن خوف المجرم من تبعات جريمته يستلزم أيضًا الانفراد والهروب بعيدًا عن الناس، حتى يخفي معالم جريمته.

أما قصة صاحب الجنتين فقد وصف القرآن لنا المكان الذي حدثت فيه القصة دون ذكر اسمه، وذلك بقوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الكَهف: ٣٢ – ٣٣]، فالقصة وقعت في بستانين من كروم مطاف بهما نخل، فالعنب في وسطها، والنخل قد حف بذلك، ودار به، فحصل فيه من حسن المنظر وبهائه، وقد برز الشجر والنخل للشمس والرياح، التي تكمل بها الثمار، وتنضج وتتجوهر، وجُعل وسط هذين البستانيين زرعًا، فهي أجمل الجنان وأجداها نفعًا، لثمر أعاليها وزرع أسافلها، فهي أرض جامعة للأقوات والفواكه. ولم يكن بين الجنتين موضع خراب فهي متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينها، مع الشكل الحسن والترتيب الأنيق، وكلا البستانين أطعم ثمره وما فيه من

الغروس من النخل والكرم وصنوف الزرع(١). ويجري خلالهما نهر يسقي جميع جوانب الجنتين، فأعطت الزروع والأشجار حملها وأخرجت ثمارها وآتت صاحبها أكلها، ولم ينقص من ثمر الجنتين شيئًا(٢) . فوصف المكان الذي تقدم على ذكر أحداث القصة، كان له تأثير قوي على موضوع القصة حيث بين سبب إعجاب الرجل بجنتيه وسبب ازدراءه لصاحبه ثم إنكار زوال الجنتين وإنكار البعث.

أما في قصة قارون فالظاهر أنها حدثت بعد خروج موسى (عليه السلام) وبني إسرائيل من مصر(٣)، فلم يذكر القرآن اسم المكان أو وصفه، ولكن من خلال أحداث القصة في تصوير ما كان عليه قارون من الغنى والثراء، وخروجه في زينته من كنوز وأموال دون خوف من أن تسرق أو تسلب. قال تعالى: ﴿**إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦**﴾ [القَصَص: ٧٦]. وقال تعالى: ﴿**فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ ٧٩**﴾ [القَصَص: ٧٩]، ظهر لنا ما يُشعر بالقوة والتمكين في الأرض، والأمن والأمان لبني

---

(١) **انظر:** جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (١٩/١٨). بحر العلوم، السمرقندي، (٣٤٦/٢). النكت والعيون، الماوردي، (٣٠٥/٣). معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، (١٧٠/٥). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، (٧٢١/٢). مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (٣٠٠/٢). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (٤٧٦).

(٢) **انظر:** معاني القرآن وإعرابه الزجاج، (٢٨٤/٣). بحر العلوم، السمرقندي، (٣٤٦/٢). الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي، (١٤٨/٣).

(٣) **انظر:** التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٢٢/٢٤).

إسرائيل، في حين كانوا مضطهدين في مصر مستعبدين من قبل فرعون، بالإضافة إلى عدم ذكر قوم فرعون في القصة([1]).

وفي القصص الثلاث يظهر التكامل المكاني فقصة حدثت في مكان خال بعيدًا عن الناس، وقصة حدثت في مكان خاص بستانين عظيمين وخدم وزرَاع وحشم، وقصة حدثت في مكان عام حضرها جميع القوم.

هذا التكامل يقرر موضوع القصة، ويبين أن الكبر يختلف باختلاف تمكنه من القلب فقد يظهر على الجوارح بشكل معصية مشربة بخوف من الناس، وقد يظهر على الجوارح فيسيطر عليها ويجرها إلى الكفر في حدود خاص، وقد يكون في أعلى درجاته فيتباهى الرجل بكفره وطغيانه أمام الملأ.

مكان نزول الآيات: سورة القصص مكية، وسورة الكهف مكية ــ أيضًا ــ ، أما سورة المائدة فهي مدنية([2]).

ومن خصائص السور المكية إثبات العقائد، والردّ على المشركين.

ومن خصائص السور المدنية بيان الأحكام الشرعية، والردّ على اليهود والنصارى([3]). والسور المكية متقدمة على السور المدنية ولذلك كان الخطاب يغلب عليه مجادلة الكفار وضرب الأمثلة لهم في الشرك وفساد العقيدة، فلما استقرت العقيدة الصحيحة في قلوب المؤمنين وأصبحت لهم دولة أنزل الله تعالى الفرائض، والحدود بتحريم ما حرم الله، ووجوب ما أوجبه الله.

---

(١) «قارون هو من بني إسرائيل كذب موسى، وقد قيل إنه كان منقطعًا إلى فرعون وخادمًا له، وهذا بعيد؛ لأنه كان في زمرة من خرج مع موسى، أي فاشترك أولئك في رمي رسولهم بالكذب والسحر كما فعلت قريش». **انظر:** التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٢٢/٢٤).

(٢) **انظر:** بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادى، (٩٨/١-٩٩). الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، (٤١/١).

(٣) **انظر:** التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١٤/١).

ففي قصة قارون ضرب الله حال تعاظم المشركين بأموالهم وكفرهم مثلًا بحال قارون مع موسى وإن مثل قارون صالح؛ لأن يكون مثلًا لأبي لهب ولأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قبل إسلامه في قرابتهما من النبي (ﷺ) وأذاهما إياه، وللعاصي بن وائل السهمي في أذاه لخباب بن الأرت وغيره، وللوليد بن المغيرة من التعاظم بماله وذويه(١).

وفي قصة صاحب الجنتين ضرب مثلًا للفريقين للمشركين وللمؤمنين بمثل رجلين كان حال أحدهما معجبًا مؤنقًا، وحال الآخر بخلاف ذلك فكانت عاقبة صاحب الحال المونقة تبابًا وخسارة، وكانت عاقبة الآخر نجاحًا، ليظهر للفريقين ما يجره الغرور والإعجاب والجبروت إلى صاحبه من الأرزاء، وما يلقاه المؤمن المتواضع العارف بسنن الله في العالم من التذكير والتدبر في العواقب فيكون معرضًا للصلاح والنجاح(٢).

وفي قصة ابني آدم بدأ الله القصة بأمر نبيه بتلاوتها وقصها ليسمعها البغاة الحسدة، من اليهود وأمثالهم وأشباههم(٣)؛ لأن كل ذي نعمة محسود، فلما كانت نعم الله على محمد (ﷺ) أعظم النعم لا جرم لم يبعد اتفاق الأعداء على استخراج أنواع المكر والكيد في حقه، فكان ذكر هذا القصص تسلية من الله تعالى لرسوله (ﷺ)، لما هم قوم من اليهود أن يمكروا به، وأن يوقعوا به آفة ومحنة، وتذكيرهم بأنهم على سبيل أسلافهم في الندامة والحسرة الحاصلة بسبب إقدامهم على المعصية إثر هذا الحسد(٤).

وفي القصص الثلاث يظهر التكامل المكاني وهذا الترتيب المكاني يقرر موضوع القصص الثلاثة بموجب المكان، فما نزل بمكة بين مناسبة المكان

---

(١) **انظر:** التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٠/.174)

(٢) **انظر:** التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٣١٥/١٥).

(٣) **انظر:** تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٨٢/٣).

(٤) **انظر:** مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، الرازي، (٣٣٧/١١).

للقصة فالكفار من أهل مكة كانوا من أكثر الناس مغالاة في الإعجاب والزهو بأنفسهم، وبما يملكون من ثراء ضخم، أو جاه عريض(١)، فقد قالوا: ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [سبأ: ٣٥]. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾﴾ [غافر: ٥٦]، فبين الله لهم أن قارون أوتيها قبلهم واغتر بها ولم تعصمه من عذاب الله، ولستم أيها المشركون بأكثر عددًا ومالًا من قارون، ولم ينفع قارون قرابته من موسى ولا كنوزه(٢). وبين الله لهم في قصة صاحب الجنتين أن الازدراء للمؤمنين والافتخار عليهم بالأموال والأنصار شيء زائل لا يوجب الافتخار؛ لاحتمال أن يصير الفقير غنيًا والغني فقيرًا، أما الذي يجب حصول المفاخرة به فطاعة الله وعبادته وهي حاصلة لفقراء المؤمنين(٣).

وما نزل بالمدينة وكان أهلها من المؤمنين بين لهم بأن بواعث الكبر قد تظهر على المرء، وإن كان لا يتصف به، فإذا تغلغل العداء والحسد والحقد في قلبه فسينتج كبرًا لا محالة يجر إلى معصية حرمها الله، ويفرق بين أخوة المؤمنين التي سعى القرآن إلى تعزيزها في السور المدنية. كما أشارت القصة إلى عظم القتل وحرمته كما هي عادة السور المدنية في الحديث عن الحدود والشرائع، بالإضافة إلى تذكير اليهود الذين يسكنون المدينة بعاقبة حسدهم وطغيانهم وسفكهم الدماء فقد همّوا بقتل النبي (ﷺ) ظلمًا فستكون عاقبتهم الندامة والخسران كعاقبة ابن آدم القاتل(٤).

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، (٧٥/٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٣١٠/١٣).

(٣) **انظر:** مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، الرازي، (٤٦٢/٢١). البحر المحيط في التفسير، ابن حيان، (١٧٤/٧).

(٤) **انظر:** المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (١٨٢/٢). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (١٤٦/٦).

المبحث الثالث
التكامل الموضوعي في الشخصيات والأحداث والحِوَار

المطلب الأول
التكامل الموضوعي في الشخصيات

من أهم العناصر في القصص عنصر الشخصيات، ولو تأملنا الشخصيات المذكورة في القصص الثلاث سنجد أنها شخصيات ذات علاقات إنسانية متكررة ومعروفة، فهي لأخ مع أخٍ له كما في قصة ابني آدم قال تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ﴾ [المَائـدَة: ٣١]، أو صاحب مع صاحبٍ له كما في قصة صاحب الجنتين(١)، قال تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ [الكَهف: ٣٤]، أو لقريب مع أقرباء له كما في قصة قارون(٢) قال تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ [القَصَص: ٧٦ – ٧٧].

فالعِلَاقة الإنسانية الأولى (عِلَاقة الأخوة)، ولفظ الإخوة: يسْتَعْمل فِي النّسَب والمشابهة والمشاركة فِي شَيْء، والْأَخ: هو كل من جمعك وإياه صُلْب أَو بطن،

---

(١) ذكر بعض المفسرين أن الرجلين في القصة تربطهما عِلَاقة الأخوة، **انظر:** الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي، (١٤٨/٣). ولكن أكثر المفسرين على أنها عِلَاقة صحبة لتصريح القرآن بذلك قال أبو حيان: «ويظهر من قوله فقال لصاحبه أنه ليس أخاه»، **انظر:** البحر المحيط في التفسير، ابن حيان، (١٧٥/٧).

(٢) قارون هو: ابن عم موسى لأبيه وأمه، وذلك أن قارون: هو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب **(كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى)** يقول: كان من عشيرة موسى بن عمران النبيّ (ﷺ)، وموسى: هو موسى بن عمران بن قاهث، كذا نسبه ابن جُرَيج. **انظر:** جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (٦١٥/١٩).

ويستعار لكل مشارك لغيره فِي القبيلة أَو في الدّين أَو فِي الصّنْعَة أَو فِي معاملة أَو فِي مودّة أَو فِي غير ذلك من المناسبات(١). وتُعد الأخوة في النسب من العلاقات الإنسانية القوية؛ ولذلك ذكرها الله في القرآن الكريم للدلالة على شدة أهوال يوم القيامة قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾﴾ [عَبَس: ٣٤]، فإن كانت هذه العِلَاقة من العلاقات القوية في الدنيا إلا إن الإنسان سيفر منها في الآخرة لهول الموقف ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عَبَس: ٣٧](٢)،

العِلَاقة الإنسانية الثانية هي (عِلَاقة الصحبة)، وَالصّاحِبُ: المُعاشر(٣)، ولا يقال في العرف إلّا لمن كثرت ملازمته(٤). وهذه العِلَاقة لا تعني بالضَّرورة التجانس والتوافق بين المُتصاحِبَيْن. قال تعالى: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾ [التَّكوِير: ٢٢]، وهي تفيد انتفاع أحد الصاحبين بالآخر(٥). ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم

(١) الكليات، أبو البقاء، (٦٣).

(٢) فإن كانت هذه العِلَاقة من العلاقات القوية في الدنيا إلا إن الإنسان سيفر منها في الآخرة لهول الموقف ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾، أي شأن لا يهمه معه غيرُه ولَا يَقْدِرَ مع الاهتمام به على الاهتمام بغيره وقد أفضى إلى كلّ إنسان ما يشغله عن غيره،وقال تعالى: ﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾﴾ [المَعَارِج : ١١ – ١٤]، فقد بين (ﷻ) أن الكافر من عظيم ما ينزل به يومئذ من البلاء يفتدي نفسه، لو وجد إلى ذلك سبيلًا بأحب الناس إليه في الدنيا من أقاربه. **انظر:** جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (٢٥٩/٢٣)، (٢٣٢/٢٤). معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، (٢٨٧/٥)، النكت والعيون، الماوردي، (٩٢/٦).

(٣) لسان العرب، ابن منظور، (٥١٩/١).

(٤) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، (٤٧٥).

(٥) **انظر:** معجم الفروق اللغوية = الفروق اللغوية بترتيب وزيادة، العسكري، (٣٠٨).

﴿مِّن دُونِنَآ ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأَنبِيَاء: ٤٣](١). وللصحبة دور عظيم في تحقيق الترابط، والوحدة بين أفراد المجتمع، مما يعطيهم القوة والعزة والصمود عند المصائب.

العِلَاقة الإنسانية الثالثة هي (عِلَاقة القرابة)، والقرابة الدُّنُوُّ في النسب، والقُربى في الرَّحِم(٢)، وللقرابة مراتب ودرجات متفاوتة على حسب القرب، والقرابة في الأصل نوعان: قرابة الولادة، وقرابة غير الولادة، وقرابة غير الولادة نوعان أيضا: قرابة محرمة للنكاح كالأخوة والعمومة والخؤولة وقرابة غير محرمة للنكاح كقرابة بني الأعمام والأخوال والخالات(٣). ومن رابطة القرابة قام التنظيم الاجتماعي وقد ألف شكل القبيلة التي يحتمي الفرد بها في الدفاع عن نفسه وعرضه وماله.

التكامل الموضوعي في الشخصيات من جهة العلاقات الإنسانية يقرر موضوع القصص الثلاث، فالتكبر والعلو يضعف ويدمر العلاقات الإنسانية بجميع أشكالها قريبة كانت كعِلَاقة الأخ بأخيه أو متوسطة كعِلَاقة القريب بقريبه أو أبعد من ذلك كعِلَاقة الصاحب بصاحبه. وهذا التكامل الفريد يشير إلى أن القصة قد تقع متكررة؛ لأنها حوت أغلب العلاقات الإنسانية مما يعطي أهمية بالغة لموضوعها.

---

(١) «قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هذا القول الذي حكيناه عن ابن عباس، وأن **(هُمْ)** من قوله **(ولا هُمْ)** من ذكر الكفار، وأن قوله **(يُصْحَبُونَ)** بمعنى: يجارون يصحبون بالجوار؛ لأن العرب محكي عنها أنا لك جار من فلان وصاحب، بمعنى: أجيرك وأمنعك، وهم إذا لم يصحبوا بالجوار، ولم يكن لهم مانع من عذاب الله مع سخط الله عليهم، فلم يصحبوا بخير ولم ينصروا. **انظر:** جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (١٨/٤٤٨).

(٢) **انظر:** المخصص، ابن سيده، (١/٣٣٢). لسان العرب، ابن منظور، (١/٦٦٥). تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، (٤/٨).

(٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، (٤/٣٠).

المطلب الثاني
التكامل الموضوعي في الأحداث

تدور القصص الثلاث حول ثلاثة أحداث رئيسة:

الحدث الأول: سبب التكبر

وقد استفتحت القصص الثلاث بحدث عليه مدار القصة وهو سبب التكبر(١).

ففي قصة ابني آدم قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْأَخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المَائـِدَة: ٢٧]، فأشارت الآيات لسبب التكبر وهو الحسد الذي جر إلى الازدراء، والازدراء الذي جر إلى الكبر.

أما في قصة الرجلين فقد ورد سبب التكبر أيضا في مقدمة القصة، قال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾ [الكَهف: ٣٢ – ٣٤]، فسبب تكبر صاحب الجنتين هو الإعجاب بما أنعم الله عليه (جنتين عظيمتين تميزتا بتنوع الثمار والفواكه وبإثمارهم ثمرا وافرا متصلا)، فجره ذلك العجب لازدراء صاحبه والتكبر عليه، ثم جره الكبر إلى الكفر بإنكار فناء الجنتين، وإنكار البعث.

وفي قصة قارون استفتحت القصة بسبب الكفر أيضا، قال تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ

(١) ولأن سبب التكبر قد تم الحديث عنه في الوحدة الموضوعية للقصص الثلاث فإني سأكتفي بذكر الآيات التي تدل على ذلك والتعليق البسيط عليها، وبذكر التكامل في القصص الثلاث.

﴿أُوْلِي ٱلْقُوَّةِ ۝٧٦﴾ [القَصَص: ٧٦]، فكان سبب التكبر هو استعظام النفس، ورؤية قدرها فوق قدر الغير، بإعجاب قارون بما يملك من أموال طائلة، وبعمله وعلمه.

والتكامل في القصص الثلاث ظهر بحصر أسباب التكبر الناشئ عند إنعام الله على عباده بالنعم الجزيلة، والنعم إما أن تكون للمرء أو تكون لغيره، فإن كانت النعمة له فهو على صنفين: الأول: المتكبر الطاغي المستعظم لنفسه، الذي يظن أن النعم بعمله وحنكته وفضله على الناس كقارون. والصنف الثاني: المتكبر المعجب بما أنعم الله به عليه، الذي يرى نفسه أفضل من أقرانه فيزدريهم ويحتقرهم، ويظن بأنه مفضل عند الله، ومستحق للنعم كصاحب الجنتين.

وأما من كانت النعمة لغيره: فإن سبب التكبر يكون هو الحسد والحقد الذي يجر إلى بطر الحق، وازدراء الناس، كالقاتل من ابني آدم.

وبهذه الأصناف المذكورة اكتملت الأحداث التي ممكن أن تُذكر في سبب التكبر موضوع القصص الثلاث.

الحدث الثاني: الموعظة

وحَقِيقَة الموعظة: هِيَ التّذْكِير والتحذير مِمَّا يخَاف عاقبته(١). والموعظة الحسنة هي التي يستحسنها السامع، وتكون في نفسها حسنة باعتبار انتفاع السامع بها(٢). وهي الحجج الظنية الإقناعية الموجبة للتصديق بمقدمات مقبولة(٣). والموعظة يراد بها **أمران:** الأمر والنهي المقرونان بالرغبة

(١) تفسير القرآن، السمعاني، (٢/٢١٤).

(٢) فتح القدير، الشوكاني، (٣/٢٤٢). **وانظر:** التفسير البسيط، النيسابوري، (١١/٢٢٨).

(٣) فتح القدير، الشوكاني، (٣/٢٤٢).

والرهبة، ونفس الرغبة والرهبة(١). وقد يسلك بالموعظة مسلك الإقناع، فمن الموعظة حكمة، ومنها خطابة، ومنها جدل(٢).

وقد توسطت الموعظة بين الأحداث في القصص الثلاث ففي قصة ابني آدم ذكر الله وعظ أخيه له بقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [المَائـــدَة: ٢٧– ٢٩].

والموعظة الأولى في قصة ابني آدم كانت جوابًا للتصريح بالقتل قال الأخ المؤمن مبيناً لأخيه: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ وهي موعظة وتعريض وتنصل مما يوجب قتله. فقبول القربان فعل الله لا فعل غيره، وهو يتقبل من المتقي لا من غيره. فلم تقتلني؟! ومالك لا تعاتب نفسك ولا تحملها على تقوى اللّه التي هي السبب في القبول؟ فقد وعظه بموعظة صادرة من القلب بين له فيها التصور الخاطئ الداعي لهذا الجرم، فهو: لم يكن من المتقين. وآية ذلك إضماره قتل النفس التي حرم الله. وقوله: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي﴾ موعظة أخرى لأخيه ليذكره خطر هذا الجرم الذي أقدم عليه(٣). وفيه إشعار بأنه يستطيع دفعه ولكنه منعه منه خوف الله تعالى(٤). فمع قدرته على القتال إلا

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابـــن قـــيم الجوزيـــة، (٤٤٤/١). **وانظر:** تأويلات أهل السنة، الماتريـــدي، (٥٤/٦). التفســـير البســـيط، النيســـابوري، (٢٢٨/١١).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٣٢٧/١٤).

(٣) قال الماتريدي:" ومن شأن الموعظة والذكرى التكرار والإعادة؛ لتكـــون أنجـــع وآخـــذ للقلوب، وأقرب إلى القبول" **انظر:** تأويلات أهل السنة، (٤٨٥/٩).

(٤) **انظر:** الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، (٦٢٤/١). التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٧٠/٦).

أنه استمال أخاه بقوله لئن بدأتني بالقتل لم أبدأك بمثله(١) إعلامًا منه لأخيه القاتل أنه لا يستحل قتلَه ولا بسطَ يده إليه بما لم يأذن الله جل وعز له به، فهو يخاف الله في بسط يديه إليه إن بسطها لقتله(٢). ثم ذكره وحذره مِمَّا يخَاف عاقبته: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾، إثم قتلي وسائر آثامك التي أوجبت أن لا يتقبل منك(٣). قال ابن عباس (ﷺ): "خَوَّفَهُ النار فلم ينته ولم ينزجر"(٤). وقد حقق في موعظته جميع أركان الموعظة المقبولة فناقش الفكرة التي صرح بها القاتل لبيان ضعف الدافع للقتل، وبين له الحقيقة، وذكر له خطر هذا الجرم الذي أقدم عليه(٥)، وحرك مشاعر الأخوة بإظهار روح المسالمة، ثم دق الجانب الفطري بالإشارة إلى الخوف من الله ثم ختم بالإنذار والوعيد المنفر من هذا العمل(٦). ومما يبين أن موعظة الأخ المؤمن موعظة حسنة مكتملة قوله تعالى: ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠﴾ [المَائِدَة: ٣٠] حيث دلت كلمت

---

(١) **انظر:** النكت والعيون، الماوردي، (٢٩/٢). الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي، (٣١٦).

(٢) **انظر:** جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (٢١٣/١٠).

(٣) **انظر:** الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي، (٣١٦). معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، (٤٣/٣). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (١٧٩/٢).

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٨٨/٣)

(٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٧٠/٦).

(٦) وفي موعظة الأخ لأخيه بيان للحكم والحكمة، والترغيب والترهيب، فالحكم به يزول الجهل والحكمة مع الترغيب توجب الرغبة، والحكمة مع الترهيب توجب الرهبة. **انظر:** تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (١٠٣).

(طوعت) على تأثير الموعظة في نفسه إذا كان جازمًا على القتل إلا أنه تردد قليلًا بعد سماعه للموعظة(١).

وأما في قصة صاحب الجنتين فقد ذكر الله وعظ صاحبه له فقال: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾﴾ [الكَهف: ٣٧ – ٤١]، وقد بدأت موعظة الرجل الفقير للرجل الغني بعد أن أنكر زوال جنته وأنكر البعث فلما صرح بهذا الفساد وعظه صاحبه، وذلك بإزالة العوائق بالحجة والبرهان(٢) فقال له: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ يعني خلق أباك آدم من تراب ثم أنشأك من نطفة الرجل والمرأة، ثم عدلك بشرًا سويًا، فمن فعل بك هذا قادرًا أن يعيدك خلقًا جديدًا بعد ما تصير رفاتًا(٣).

---

(١) **انظر:** المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (١٨١/٢). تفسير المنار، محمد رشيد، (٢٨٦/٦). التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٧٢/٦).

(٢) والحجج تنحصر في أقسام ثلاثة. أولها: الحجة القطعية المفيدة وثانيها: الأمارات الظنية والدلائل الإقناعية وهي الموعظة الحسنة. وثالثها: الدلائل التي يكون المقصود من ذكرها إلزام الخصوم وإفحامهم، وذلك هو الجدل. **انظر:** مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، الرازي، (٢٨٧/٢٠).

(٣) **انظر:** جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (٢٣/١٨). تأويلات أهل السنة، الماتريدي، (١٧١/٧).

ولتكون الموعظة أنجع وأنجح بين له أن ما وعظه به هو عين مايقوم به(١) فقال: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾ أي: ولكن أنا أقول: هو الله ربي ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا﴾.

ثم وعظه بالمشهود لينتفع بما يراه ويشهده من مواقع العبر(٢) فقال له: "فهلا إذ أعجبتك جنتك حين دخلتها ونظرت إليها حمدت الله على ما أنعم به عليك، وأعطاك من المال والولد ما لم يعط غيرك، وقلت: الأمر ما شاء الله، والكائن ما قدره الله، ليكون ذلك منك اعترافًا بالعجز، وبأن كل خير بمشيئة الله وفضله(٣). ثم أرهب ورغب فأردف بترجية من الله، وتوقعه أن يقلب ما به وما بصاحبه من الفقر والغنى. فقال: "فأنت لا تدري أن تصير كثرة مالك إلى قلة أو إلى اضمحلال، وأن يصير القليل ماله ذا مال كثير. فيمنحني الله تعالى بإحسانه جنة خيرًا من جنتك لإيماني به، ويزيل عنك نعمته لكفرك به ويخرب بستانك(٤).

---

(١) **قال الماتريدي:** "ولا تنفع ولا تنجع في المرء إذا لم يكن الواعظ مستعملا لما يعظ غيره!" **انظر:** :تأويلات أهل السنة، (٦٣٠/٣).

(٢) **العظة نوعان:** عظة بالمسموع، وعظة بالمشهود، فالعظة بالمسموع الانتفاع بما يسمعه من الهدى والرشد، والعظة بالمشهود الانتفاع بما يراه ويشهده في العالم من مواقع العبر. **انظر:** مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، (٤٤٣/١). تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، الصنهاجي، (٣٢٢).

(٣) **انظر:** تفسير المراغي، المراغي، (١٥١/١٥).

(٤) **انظر:** مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (٣٠٢/٢). البحر المحيط في التفسير، ابن حيان، (١٨٠/٧). التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٣٢٤/١٥).

ولأنها موعظة مؤثرة ندم بعد أن أهلك الله جنته فقال: ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٤٢﴾ [الكَهف: ٤٢] يعني أنه تذكر موعظة أخيه المؤمن فعلم أنه أتى من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركًا(١).

و في قصة قارون فقد ذكر الله وعظ قومه له فقال: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾ [القَصَص: ٧٦ – ٧٧] ووعظ العلماء الناصحين لمن تمنوا مكان قارون لما خرج عليهم في زينته فقال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠﴾ [القَصَص: ٨٠] فالموعظة الأولى في قصة قارون كانت صادرة من قومه له لما رأوا منه الطغيان والبغي فقالوا له ناصحون: ﴿لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾ فقد تضمنت هذه الآيات جملة من الصفات التي ظهرت على قارون وأراد قومه وعظه بالنهي عنها أو الأمر بضدها(٢)، فهو إن كان قد بغى عليهم إلا إنه واحدًا منهم: فنهوه عن الفرح الذي قاده إلى الإعجاب والطغيان، بما يشمله من البغي والبخل والبطر(٣) ، وأمروه بقصد الآخرة بما أعطاه الله من المال، وذلك بفعل الحسنات والصدقات، وتلطفوا معه بعد النهي والأمر بأن لا يترك حظه من دنياه، ويتمتع بها مع عمله للآخرة، ثم أمروه بلزوم الإحسان في المعاملة

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (١٦٥/٣).

(٢) فالموعظة تكون في كل حال، وتتأكد عند ظهور الفساد.

(٣) **انظر:** النكت والعيون، الماوردي، (٢٦٧/٤)

مع الله (ﷻ) ومع الناس جميعًا، ونبذ الفساد وإن كان الفساد هو ناتج للفرح إلا أن التكرار والإعادة؛ غالبًا ما يكون أنجع وآخذ للقلوب، وأقرب إلى القبول(١). أما الموعظة الثانية: فهي موعظة العلماء للذين تمنوا حال قارون مع ما عليه من الطغيان فقالوا لهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠﴾. وأصل كلمة ويل الدعاء بالهلاك، ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرتضى(٢). كالتعجب المشوب بالزجر، لأن المناسب لمقام الموعظة لين الخطاب ليكون أعون على الاتعاظ، فهم تعجبوا من تعلق نفوس أولئك بزينة الحياة الدنيا، واغتباطهم بحال قارون دون اهتمام بثواب الله الذي يستطيعون تحصيله بالإقبال على العمل بالدين، والعمل النافع، وهم يعلمون أن قارون غير متخلق بالفضائل الدينية(٣).

وظهر التكامل في القصص الثلاث وذلك بظهور جميع أساليب وأنواع الموعظة التي تناسب المتكبر بدرجاته فالمخاطب على ثلاث مدارج: خالي الذهن، ومعترف، ومنكر. فالأول تكون موعظته: بإلقاء العلم، والثاني: بجذبه إلى العمل. والثالث: بإزالة العوائق(٤). وقد تناسب الوعظ المذكور في القصص الثلاثة أيضًا مع صلة الواعظ بالمتكبر.

ففي قصة ابني آدم كانت الموعظة تدور حول إزالة سبب الحسد واستمالة القاتل وإظهار المحبة له والخوف عليه فالعِلَاقة بينهما هي عِلَاقة الأخوة، والقاتل معترف في داخله بجميع ماذكره له أخوه ولذلك كانت موعظته بجذبه إلى العمل الصالح.

---

(١) **انظر:** التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١١٩/٢).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، (٤٣٢/٣).

(٣) **انظر:** التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٨٤/٢٠).

(٤) **انظر:** مفردات القرآن، الفراهي، (١٧٤).

أما في قصة صاحب الجنتين فكان مدار الوعظ المجادلة بالحجج والبراهين فصاحب الجنتين منكر والمنكر تكون موعظته بإزالة العوائق، ثم أن العِلَاقة بينهما هي عِلَاقة المصاحبة وعِلَاقة المصاحبة لا يترتب عليها مفاسد إذا حصل الفراق، ولذلك ظهرت الموعظة بشيء من القوة والشدة.

أما في قصة قارون فكانت الموعظة تدور بين الأمر والنهي والترغيب والترهيب وذلك بإلقاء العلم والتعريف به، فمع كون قارون يصف نفسه بالعلم إلا أنه خالي الذهن من كل شيء إلا من إعجابه بنفسه وعمله. ثم أنه كان يحسب أنه يدفع العذاب الموعود في هذه الدنيا بذلك عن نفسه، أو يظن أنه لما أوتي ذلك لا يعذب كظن أُولَئِكَ الكفرة حيث قالوا: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [سبَإ: ٣٥](١) فوعظه قومه بإلقاء العلم لنفي هذا الجهل، ولما كان الواعظون من قومه تلطفوا معه في الموعظة، ولم يجادلوه بافتراض أنه منكر للعلم.

وكانت موعظة العلماء لمن تمنو مكان قارون كموعظة المؤمن من ابني آدم بإلقاء العلم عليهم مع مافي موعظتهم من لين الخطاب للقرابة بينهم.

واكتمل الحدث الثاني باكتمال القصص الثلاث.

الحدث الثالث: العقاب

وتأخر العقاب في القصص الثلاث ففي قصة ابني آدم: قال تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المَائـــدَة: ٣٠ – ٣١] فبعد قتل الحاسد لأخيه أصبح من حزب الخاسرين، وهم الذين باعوا آخرتهم بدنياهم،

(١) **انظر:** تأويلات أهل السنة، الماتريدي، (١٩٩/٨).

بإيثارهم إياها عليها، فوُكسوا في بيعهم، وغبنوا فيه، وخابوا في صفقتهم(١). فخسر بقتله دنياه وآخرته، فأما الدنيا فهو أنه أسخط والديه وبقي مذمومًا إلى يوم القيامة، وأما الآخرة فهو العقاب العظيم(٢). ولم تتنه القصة بمشهد القتل ولكن عرضت لنا مشهدًا آخرًا هو أصل العبرة قال تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ فلمّا قتله لم يدرِ ما يصنع به لأنّه كان أوّل ميّت على وجه الأرض من بني آدم(٣)، ولما رأى قابيل فعل الغراب تنبه على ما يجب أن يصنع بأخيه، ورأى قصور نفسه وجهل البشر بالأمور، فاحتقر نفسه فقال: أعجزت في الحيلة أن أكون مثل هذا الغراب، فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي!؟ ولذلك ندم(٤). قال تعال: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾.

العقاب في قصة صاحب الجنتين: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾﴾ [الكهف: ٤٢ – ٤٣]، فأحاط الهلاك والجوائح بثمره، وهي صنوف ثمار جنته التي كان يقول لها: ﴿مَآ أَظُنُّ

---

(١) **انظر:** جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (٢٢٤/١٠). الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي، (٣١٦).

(٢) **انظر:** تفسير القرآن، السمعاني، (٣١/٢). مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، الرازي، (٣٤١/١١).

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي، (٣١٦).

(٤) **انظر:** تأويلات أهل السنة، الماتريدي، (٥٠١/٣). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (١٨٠/٢-١٨١).

﴿أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ فأُتلف ماله كله وأصبحت جنته صعيدًا زلقًا وهلكت أنعامه، أو خسف بها بزلزال أو نحوه. فأصبح هذا الكافر صاحب هاتين الجنتين، يقلب كفيه ظهرًا لبطن، تلهفًا وأسفًا على ذهاب نفقته التي أنفق في جنته وهي خالية على نباتها وبيوتها، متمنيًا بعد ما أصيب بجنته إذا هلك وزالت عنه دنياه وانفرد بعمله، ودّ أنه لم يكن كفر بالله ولا أشرك به شيئا(١) ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾.

العقاب في قصة قارون: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ [القَصَص: ٨١]، لما خرج قارون في ازدهائه وما جرى من تمني الجهلة من قومه أن يكونوا مثله، وما أنكر عليهم علماؤهم من غفلتهم، عجل الله بعقابه في الدنيا بمرأى من الذين تمنوا أن يكونوا مثله. فخُسِف بِقارون وَبِدارِهِ وأمواله، فهو يتجلجل في الأرض كل يوم إلى يوم القيامة(٢) فَما كانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللّهِ يعني: لم يكن له جند وأعوان يمنعونه من عذاب الله (ﷻ) وَما كانَ مِنَ المُنْتَصِرِينَ يعني: وما كان قارون من الممتنعين مما نزل به من عذاب الله(٣).

ويظهر لنا تكامل العقاب من خلال القصص الثلاث، في تنوع العقاب وتنوع صوره فعقاب حسي وعقاب معنوي، وعقاب حسي مقرون بالعقاب المعنوي زيادة في الإيلام والتوبيخ، وعقاب مضاعف يزداد تفصيلًا وتهويلًا حسب

(١) **انظر:** جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (٢٧/١٨). التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٣٢٦/١٥)

(٢) كما ثبت في الصحيح– عند البخاري من حديث الزهري عن سالم– أن أباه حدثه: أن رسول الله (ﷺ) قال: «بينا رجل يجر إزاره إذ خسف به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة».

(٣) **انظر:** بحر العلوم، السمرقندي، (٦٢١/٢). التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٨٥/٢٠).

درجات العتو والبغي والظلم. وهذا التنويع في تصوير العذاب يظهر لنا التكامل في القصص الثلاث. فمن صور العقاب المعنوي عذاب الحسرة والندامة الذي وقع على القاتل من ابني آدم فكيف تحمل العناء الشديد والبلاء العظيم في تحصيل ما لم يحصل له منه إلا العذاب والعناء(١) ﴿قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١﴾ وقد جُمع لصاحب الجنتين عقابان العقاب الحسي العذاب بخسارة الأموال والممتلكات. والعقاب المعنوي: عذاب الخجلة حين ظهر له أن كل ما كان يعتقده كان محض الجهالة وصريح الضلالة(٢) ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾، أما قارون فعقابه المعنوي كان بانقطاع الأمل عند نزول العقوبة به وحصول الجزم واليقين بأن التدارك ممتنع، وأن جبر ذلك متعذر فههنا يعظم الحزن ويقوى البلاء جدًا(٣) ﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ﴾، وأما عقابه الحسي فكان على قدر بغيه وفساده وجزاء له من جنس عمله، فكما رفع نفسه على عباد الله، أنزله الله أسفل سافلين، فهوى في الأرض هو وداره، وكل ما اغتر به(٤).

فكل أنواع العذاب قد وقعت على المتكبر تبعًا للكبر الذي في نفسه. واكتمل الحدث الثاني باكتمال القصص الثلاث.

---

(١) **انظر:** مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، الرازي، (٧١/١٣).

(٢) **انظر:** السابق (٧١/١٣).

(٣) **انظر:** السابق، (٧١/١٣).

(٤) **انظر:** تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (٦٢٣).

المبحث الثالث

التكامل الموضوعي في البلاغة والأسلوب للقصص الثلاث

البلاغة: هي علم يُعرف به أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال(١). ومن البلاغة التي تظهر أحوال اللفظ فيكون مطابق لمقتضى الحال هو براعة الاستهلال في القصص القرآني(٢).

البلاغة في الاستفتاح (براعة الاستهلال)

براعة الاستهلال: هو أن يشتمل أولُ الكلام على ما يُناسب الحال المتكَلَّم فيه، ويشير إلى ما سِيق الكلام لأجله(٣) بأن يجعلَ المتكلِّم أوّل كلامه حَسَنَ الرَّصف، عَذْبَ اللفظ، صحيحَ المعنى، مشتملًا على إشارةٍ لطيفةٍ إلى المقصود(٤)، أو هي –إيجازًا–: كونُ ابتداء الكلام مناسبًا للمقصود(٥).

ومن أوجه براعة الاستهلال في قصص القرآن تنوع طريقة العرض في ابتداء القصة، بما يتناسب مع الغرض منها. وقد ظهرت براعة الاستهلال في قصة ابني آدم في قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ﴾ وارتبطت بثلاث كلمات من الآية: ﴿وَٱتْلُ﴾ - ﴿نَبَأَ﴾ - ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ فكل لفظة وضعت لتؤدي نصيبها من المعنى بأقوى أداء.

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة، للقزويني، (٥٢/١).

(٢) وقد اكتفيت ببراعة الاستهلال لأن المقام لا يحتمل الحديث عن أكثر من ذلك، ولأن الحديث عن مقدمة القصة لم ترد في البحث، في حين ذُكر في البحث حديث عن وسط القصص وعن التذييل.

(٣) معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، (٥٨/١).

(٤) الكافي في البلاغة، أيمن أمين عبد الغني، (٢٩٦).

(٥) التعريفات، الجرجاني، (٤٥).

فالتلاوة: هي القراءة المتتابعة الواضحة المنسقة التي يعتبر بها المعتبرون، ولا تكاد تستعمل إلا في قراءة كلام الله تعالى، وشأن القصص المفتتحة بقوله: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ يُقْصَدَ مِنها الوعظ والتعليم(١).

والنبأ: خبر ذو فائدة عظيمة يُهْتَمّ به ويَحصل به علم أو غَلَبَة ظنّ(٢).

بالحق: أي نبأ ملتبسًا بالصدق لا لبس فيه ولا كذب، ولا وهم ولا تبديل، ولا زيادة ولا نقصان موافقًا لما في كتب الأولين(٣).

وابتداء القصة بأمر النبي (ﷺ) بتلاوة نبأ ابني آدم بالحق تظهر لنا أهمية القصة ومكانتها بين القصص ومنفعتها في تعليم الناس ووعظهم، ليقبل السامع على متابعتها، واستطلاع أغراضها ومقاصدها. فنبأ ابني آدم نبأ ذو فائدة ومنفعة عظيمة متلبس بالصدق لا لبس فيه، أُمر النبي (ﷺ) بتلاوته تلاوة مبينة وواضحة وكاشفة للحكم والأحكام.

وظهرت براعة الاستهلال في قصة صاحب الجنتين في قوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ وارتبطت براعة الاستهلال بكلمتين من الآية: ﴿وَٱضْرِبْ﴾ - ﴿مَّثَلًا﴾.

والضرب هو المثال والجنس، يقال: هذا من ضرب هذا، أي من مثال هذا وجنسه وضرب الْمثل هُوَ تَمْثِيل==

---

(١) **انظر:** تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (٢٢٨). التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٧٣/٩). تفسير المراغي، المراغي، (٩٦/٦).

(٢) **انظر:** لمفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، (٧٨٨). تفسير المراغي، المراغي، (٩٦/٦).

(٣) **انظر:** الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، المنتخب الهمذاني، (٤٢٩/٢). مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (٤٤١/١). تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٨٢/٣).

== الْمثل([1]). والأمثال الأشباه، والمثل كلام سائر يتضمن تشبيه الآخر بالأول([2]).

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العَنكَبُوت: ٤٣]، يعني الأَشباه([3])، نمثلها ونشبهها، ونحتج بها للناس فنضربها للمعتبرين والمتوسمين([4]).

فالأمثال إنما تضرب لتقريب ما يبعد عن الأوهام، ولكشف ما استتر من الأشياء على الأفهام وتجليها عما خفيت([5]).

وابتداء القصة بأمر النبي (ﷺ) بضرب المثل يبين أن القصة فيها حجة ودليل يُراد بسطه وتبسيطه وتصويره ليتعظ السامعون به، فالمثل يبرز المعاني الخفية، ويجعلها ظاهرة العبرة واضحة الغاية. ثم أن المثل يجسد للسامع نماذج يمكن أن يوقعها على أشخاص كثر وأحوال كثر تشبهها فيزداد يقينا به.

وظهرت براعة الاستهلال في قصة قارون في قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ﴾، وارتبطت براعة الاستهلال بحرف التوكيد: ﴿إِنَّ﴾ – وبقوله تعالى: ﴿قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ وبقوله: ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ﴾. وافتتاح القصة بحرف التوكيد إما أن يكون لإفادة تأكيد خبر إن وما عطف عليه وتعلق به مما اشتملت عليه القصة، وإما أن يكون للاهتمام بالخبر ومناط الاهتمام هو مجموع ما تضمنته القصة من العبر([6]).

---

(١) **انظر:** إعراب القرآن، النحاس، (٢٦١/٣). تفسير القرآن، السمعاني، (٣٧٠/٤).

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، (٢٤٣/٦).

(٣) التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه، ابن أبي ثعلبة، (٢٥٣).

(٤) **انظر:** تأويلات أهل السنة، الماتريدي، (١٧٠/٧).

(٥) تأويلات أهل السنة، الماتريدي، (٢٣٠/٨).

(٦) **انظر:** التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٧٥/٢٠-١٧٦).

والخبر في قوله تعالى: ﴿قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ﴾ يبين صدق الخبر وأهميته لارتباطه بنبي الله موسى الذي يعرفه اليهود والعرب، ويبين أن لقارون ارتباطًا قرابة بموسى (عليه السلام).

والخبر في قوله تعالى: ﴿فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ هو نتيجة غريبة فكيف بغى قارون على قومه بالرغم من القرابة بينه وبين نبي الله موسى (عليه السلام) مما يثير الانتباه، ويبعث على التشويق والرغبة في التوسع في معرفة جوانب القصة.

فقصة قارون استهلت بالخبر المؤكد الذي يبعث على الاهتمام وبالبداءة بنتيجة غريبة لحدث ذكر في فاتحتها وهو بغي قارون على قومه بالرغم من القرابة بينه وبين نبي الله موسى، فخبره أغرب من خبر فرعون، لأنه من قوم موسى، لكنه صار عدوًا له ولأتباعه(١).

والتكامل في القصص الثلاث يظهر باختلاف استفتاح القصة، ومناسبة استفتاحها لموضوعها، فلما كان الحسد الذي يجر للكبر سمة في اليهود وفي كفار العرب، استفتح الخبر بالتلاوة الموافقة لما في كتب الأوّلين لتكون القصة مبينة وموضحة، وكاشفة للحكم والأحكام؛ ليتعظ اليهود وكفار العرب بأول من وقع بهذا الجرم وكيف كانت عاقبته.

ولما كان الازدراء سبب في التكبر، وكان من دواعي تصلب المشركين في إعراضهم عن دعوة النبي (ﷺ) اعتزازهم واغترارهم بأموالهم وإزدرائهم لنبيهم كقولهم: ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٖ ٣١﴾ [الزُّخرف: ٣١]، وكقوله: ﴿وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا ٣٥﴾ [سبَإ: ٣٥](٢) افتتحت القصة

(١) **انظر:** التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٧٦/٢٠).

(٢) **انظر:** التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٧٤/٢٠).

بضرب المثل الذي يمكن أن يكون نموذجًا يشبه به ويمثل به كل نظير فيكون عبرة وعظة لكل من بطر الحق وغمط الناس.

وأما قصة قارون فاستفتحت بتيجة الكبر وهي البغي على قومه، وقرابته مما يظهر قباحة الكبر وسوء عاقبته وأن القرابة لا تنفع صاحبها إنَّما النَّافِع هو الإيمان بالله.

أسلوب الإيجاز والإطناب في القصص الثلاث:

اختلف أسلوب القرآن في عرض الموضوعات مابين إطناب وإيجاز. وباب الإيجاز والإطناب باب رفيع المنزلة، شامخ في الشرف، وقديما تكلّم العلماء فيه وأفردوه بالقول والإيضاح(١).

قال شهاب الدين النويري (المتوفى: ٧٣٣هـ): "لا يسمّى البليغ بليغًا إلا إذا جمع المعنى الكثير في اللفظ القليل، وهو المسمّى إيجازًا(٢)". فمن شروط الفصاحة والبلاغة الإيجاز والاختصار وحذف فضول الكلام وهذا لا يعني أن الإيجاز أفضل من الإطناب بل إن للكلام مقامات تقتضيه فما يحسن في الإيجاز قد لا يحسن فيه الإطناب والعكس صحيح، فالبلاغة الإيجاز في غير عجز، والإطناب في غير خطل(٣).

والإيجاز: هو وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ أقل منها، وافية بالغرض المقصود، مع الإبانة والإفصاح(٤). وينقسم الإيجاز إلى قسمين: إيجاز حذف، وهو أن يحذف شيء من الكلام وتدلّ عليه القرينة، وإيجاز قصر، وهو تقليل

(١) التلخيص في علوم البلاغة، القزويني، (٢٠٩).
(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري، (٤/٧).
(٣) الصناعتين: الكتابة والشعر، العسكري، (١٩٠).
(٤) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، (١٩٧).

الألفاظ وتكثير المعاني([1]) وقيل: هو تضمين العبارات القصيرة معاني كثيرة من غير حذف([2]).

والإطناب: زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، أو هو تأدية المعنى بعبارة زائدة عن متعارف أوساط البلغاء: لفائدة تقويته وتوكيده([3]) والإطناب بلاغة، والتطويل عي([4]).

إيجاز القصر في قصة ابني آدم:

تميزت القصة بعمق الإيجاز فهي مع قصرها إلا أن ألفاظها صورت المعاني الكثيرة الوافية والموصلة للغاية والعبرة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ وهي الجملة الوحيدة للأخ القاتل في حوار الأخوين، ومع كونها الوحيدة إلا أنها صورت الحالة النفسية الخاصة بما يكنه القاتل في نفسه من الازدراء، والحسد لأخيه، إذ عزم على قتله ليزول تفضيل الله له بقبول قربانه، كما صورت الحالة الجسدية من غضب القاتل، وتصميمه على قتل أخيه مؤكدا ذلك بالقسم المطوي في الكلام([5]).

---

(١) **انظر:** نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري، (٥/٧). الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، (١٨١/٣). معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، (٢٢٣/١). المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، (٢١٩/٢).

(٢) علم المعاني، عبدالعزيز عتيق، (١٧٦).

(٣) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، (٢٠١).

(٤) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ضياء الدين بن الأثير، (١٤٨).

(٥) **انظر:** البحر المحيط في التفسير، ابن حيان، (٢٢٨/٤). تفسير القرآ العظيم، ابن كثير، (٨٥/٣). إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، (٢٦/٣). تفسير المنار، محمد رشيد، (٢٨٣/٦).

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ﴾ فالجملة صورت لنا صراعًا داخليًا بحدوث تردد في النفس ومغالبة بين دافع الحسد ودافع الخَشْيَة، وكل جهة تريد أن تطيعها الأخرى؛ ولأن نفسه امتلأت حسدًا وكبرًا بَطَرَ الحق المتمثل في موعظة أخيه فجره الكبر إلى معصية القتل فدعا نفسه إلى الإقدام عليه فطاوعته ولم تمتنع(١).

الإطناب في قصة صاحب الجنتين:

ظهر الإطناب في هذه القصة في وصف الجنتين، فمع كون القصة من القصص القصيرة إلا أن القرآن قد أطنب في وصف الجنتين، غاية الوصف فيما يجدي ويغل(٢).

فقد وصفت الجنتان بأربع صفات: الصفة الأولى: ﴿جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ﴾ فهما جنتان لاستتار ما يستتر فيهما بظل الأشجار، وقد جعل الله النخل محيطًا بالجنتين، لتكون مؤزرة بالأشجار المثمرة. وإذا جُمع العنب والنخل وكان تحتها زرع فهي أجمل الجنان وأجداها نفعًا، لثمر أعاليها وزرع أسافلها،(٣) ولذلك وصفت بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ ولئلا يتوهم أن الانتفاع فيها قاصر على النخيل والأعناب، فهي جنتان جامعتان للأقوات والفواكه، متسعتا الأطراف متباعدتا الأكناف لم يتوسطهما ما يقطع بعضهما عن بعض، ومنافعهما دارة متواصلة(٤).

---

(١) **انظر:** جامع البيان، الطبري، (٢٢٠/١٠). الكشاف للزمخشري، (٦٢٦/١). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (١٨٠/٢). التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٧٢/٦).

(٢) **انظر:** النكت والعيون، الماوردي، (٣٠٥/٣).

(٣) **انظر:** النكت والعيون، الماوردي، (٣٠٥/٣). الكشاف للزمخشري، (٧٢١/٢).

(٤) **انظر:** النكت والعيون، الماوردي، (٣٠٥/٣). الكشاف للزمخشري، (٧٢١/٢). مدارك التنزيل للنسفي، (٣٠٠/٢).

ثم وصفت الجنتان بقوله: ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾ فنعتهما بوفاء الثمار وتمام الأكل من غير نقص فقد استكملتا جميع ثمارهما وزرعهما وأتت كل واحدة منهما بثمارها وافية وافرة(١)، وليدوم شربهما ويزيد بهاؤهم وصفت بالصفة الرابعة: في قوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾ لبيان ديمونة السقاء في الجنتين بتفجير النهر المتدفق في داخلهما، فالنهر أفضل ما يسقى به الثمار(٢).

وبهذا الاطناب ظهر لنا سعة إنعام الله على هذا الرجل ودُفع الإيهام بكون الجنتين شجر متكاثف لا ثمر فيه أو أن الانتفاع بهما ضعيف، فهما لا يثمران بالشكل المطلوب، أو كعادة الأشجار تثمر في بعض السنين، وينقص في بعضها، كما قد يتبادر للذهن أن صاحبهما هو القائم على سقايتهما، المتكلف بذلك، وقد بين هذا الوصف أيضا سبب إنكار الرجل لفناء جنته بل وإنكاره للبعث لما رأى من النعم التي لم يرها عند غيره، فتكبر وظن بذلك أنه المستحق للنعمة القادر عليها، كما بين الوصف استحقاق ندم الرجل الشديد على فناء جنتيه الكاملتين، مع ما فيها من مقومات الديمومة.

كما ظهر الأطناب في قوله تعالى: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ والإطناب في المحاجة يكون لتقوية الكلام وتأكيده، فالرجل المؤمن بدأ المجادلة في سبب الكفر الذي وصل إليه صاحبه فقد جره الكبر إلى ذلك، فتدرج به في أصل خلقته من التراب حتى وصل إلى كونه رجلًا

(١) **انظر:** تأويلات أهل السنة، الماتريدي، (٣١٣/٧). الكشاف للزمخشري، (٧٢١/٢). النكت والعيون، الماوردي، (٣٠٥/٣).

(٢) **انظر:** الكشاف للزمخشري (٧٢١/٢). إرشاد العقل السليم لأبي السعود، (٢٢١/٥).

قد سواه الله، ليظهر مساواته بجميع الخلق في أصل الخلقة، وليظهر ضعفه وقلة حيلته، إذ الخلق والأمر بيد الله (ﷻ).

وليرد كفره بالبعث أيضًا فقد حاجه بمقدمة ثابتة لا ينكرها أحد، فإن كان مؤمنًا بالخالق فلا بد أن يؤمن بقدرته على الإعادة. فكيف يكفر بمن خلق أصله من تراب، وخلق نفسه من نطفة، فالقادر على خلقه من العدم قادر على إعادته، وبعثه بعد ما صار ترابًا. فكيف يكفر بربه، ودلالة خلقه فيه ظاهرة جلية(١).

إيجاز الحذف في قصة قارون

جاء إيجاز الحذف في قصة قارون أبلغ من التفصيل والإطناب إذ إن إيجاز الحذف أشبه بالسحر، وذاك أنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة. وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون مبينا إذا لم تبين(٢). وكل ذلك للتركيز على الغاية من القصة وإبرازها وللتعميم.

ومن ذلك: حذف المتعلق بالفعل ﴿لَا تَفۡرَحۡۖ﴾ لدلالة المقام عليه، فالنهي عن الفرح هو المقصود، وفي الكلام مايغني عن المحذوف. بل إن الحذف اعطى صورًا لاتساع المعنى. فقيل إن المعنى لا تفرح بلذات الدنيا معرضًا عن الدين والعمل للآخرة، وقد دل على هذا المعنى قوله: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ﴾. وقيل لا تفرح بجمع الأموال لرئاسة الدنيا وإرادة العلو بها والفساد والأشر(٣)، وقيل لا تفرح بالشرك الذي أنت==

(١) **انظر:** تأويلات أهل السنة، الماتريدي، (١٧١/٧). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٤٠٤/١٠). تفسير المراغي، المراغي، (١٥٠/١٥).

(٢) **انظر:** المثل السائر لابن الأثير، (٢١٩/٢).

(٣) **انظر:** البحر المحيط في التفسير، ابن حيان، (٧٦/٦). تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٢٥٣/٦).

== عليه(١)، وقيل أن النهي هنا عن الإفراط في الفرح كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ أي المفرطين في الفرح(٢).

ومن إيجاز الحذف حذف مشهد إظهار قارون التفاخر والفرح بما أوتي من الكنوز بين وصف الكنوز وموعظة قومه له(٣). قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ والمعنى: أنه اختال وافتخر واستطال فوعظه قومه بهذه المقولة(٤). وحذف هذا المشهد أبلغ من إثباته لوجود ما يدل عليه من سياق الكلام ففي وصف الكنوز، وموعظة قومه له، مايغني عن تصوير مشهد التكبر والاختيال، وفي رد قارون ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ تأكيدًا لاختياله وفرحه وإفساده، إذ الرد كان عن استحقاقه للمال وحنكته في جلبه ولم يكن دفعًا لما وصف به من الفرح والإفساد وعدم الإحسان.

والتكامل الموضوعي في القصص الثلاث يظهر في تكامل الأسلوب البلاغي مع موضوع القصة فقد تكامل أسلوب الإيجاز والإطناب في القصص الثلاث، فإيجاز قصر وإيجاز حذف متنوع وإطناب وكل ذلك لإبراز موضوع القصة وبيان الغاية منها خير بيان.

(١) لباب التفاسير، الكرماني، رسالة دكتوراه بقسم القرآن وعلومه، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تحقيق إبراهيم دومري، من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الصافات، عام ١٤٢٩هـ، (١٩٩٥).

(٢) **انظر:** التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٧٨/٢٠).

(٣) **انظر:** البحر المحيط في التفسير، ابن حيان، (٣٢٥/٨).

(٤) **انظر:** المنهاج في شعب الإيمان، الحليمي، (٣٣٠/١).

المبحث الرابع
التكامل الموضوعي في الغاية والعبرة للقصص الثلاث

والغاية –كما ذكرنا سابقًا– هي: لب القصص القرآني، واكتمالها هو اكتمال الهدف والقصد الذي صيغت من أجله القصص. وقد تبعت القصص الثلاث آيات تبين الغاية من هذه القصص.

الغاية من قصة ابني آدم:

قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المَائِـدَة: ٣٢]، فالغاية من قصة ابني آدم –كما ذُكرت في هذه الآية– هي إظهار أنَّ كُلَّ من خَصَّه اللَّه بالنِّعم العظيمة في الدِّين والدنيا فإنَّ الناس يتنازعونه حسدًا، وسيتكثرون نعمة الله عليه، ولما كانت نِعَمُ الله على محمَّد (ﷺ) أعظم النعم، لم يبعد اتفاق الأعداء على كيدِهِ، وعدم الإيمان به كبرًا، فالحسد والكبر الذي صرف اليهود عن الإيمان بالنبي (ﷺ) وحملهم على عداوته، هو عريق في الآدميين وأثر من آثار سلفهم(١).

أما في قصة صاحب الجنتين قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾ [الكَهف: ٤٤]، فالغاية –كما ذُكرت في الآية– هي إثبات أن المتفرد بالولاية والقدرة هو الله (ﷻ) فلا قوة إلا قوته، ولا نصر إلا نصره، ولا موجب للافتخار والغرور والإعجاب لأحد، فهو الولي والناصر والملك المالك

(١) **انظر:** اللباب في علوم الكتاب، النعماني، (٢٨١/٧-٢٨٤). تفسير المنار، محمد رشـيد، (٢٨٠/٦- ٢٨٨).

لكل شيء، يرجع إليه كل أحد، ولا يردّ أمره إلى أحد(١). فالمثل مضروب للمشركين وللمؤمنين؛ ليظهر للفريقين ما يجره الغرور والإعجاب والجبروت إلى صاحبه من الأرزاء، وما يلقاه المؤمن المتواضع العارف بسنن الله في العالم من التذكير والتدبر في العواقب فيكون معرضًا للصلاح والنجاح(٢). وفي القصة تربية للمؤمن على الإيمان بولاية الله لخلقه وقدرته.

وفي قصة قارون قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القَصَص: ٨٣]، والغاية من قصة قارون بيان سنة من سنن الله التي لا تتخلف، وهي أن الآخرة ليست لقارون ولا أمثاله ممن أرادوا العلو والإفساد في الأرض؛ فهؤلاء ليس لهم في الدار الآخرة نصيب، ولا لهم منها نصيب، و أنها معدة للذين حالهم بضد حال قارون، فالدار الآخرة وما فيها من جنات ونعيم، جعلها الله خالصة لعباده الذين لا يريدون بأقوالهم ولا بأفعالهم تطاولًا وتعاليًا فيها وَلا ظلمًا أو بغيًا أو عدوانًا على أحد. والعاقبةُ الطيبة الحسنة، إنما هي للمتّقِين الذين صانوا أنفسهم عن كل سوء وقبيح، وعاقبة قارون وأمثاله الزوال، فهذه مقابلة بين الدار الزائلة والدار الخالدة(٣).

والتكامل الموضوعي في الغاية للقصص الثلاث هو أن النعم الدينية أو الدنيوية التي هي سبب التكبر والتفاخر والتحاسد بين الناس هي رزق من الله

---

(١) **انظر:** التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الطنطاوي، (٥٢٤/٨). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، (٢٧٩/٣).

(٢) **انظر:** التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٣١٥/١٥)

(٣) **انظر:** بحر العلوم، السمرقندي، (٦٢٢/٢). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (٣٠٢/٤). التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٨٩/٢٠). التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الطنطاوي، (٤٤١/١٠).

وحده يقسمه كيف يشاء، فهو المالك المتصرف صاحب الولاية، وهو القادر على إبقاء النعم أو إزالتها كيف يشاء ووقت ما يشاء. وأن الناس في كفر النعم ثلاث أصناف: فمنهم المعترض على عطاء الله كبرًا وحسدًا، متمنيًا زواله عن المنعَم عليه، أوساعيًا لزواله، وإن لم تنتقل إليه. ومنهم المعجب بعطاء الله له المتفاخر به، محتقرًا ومستصغرًا لغيره ظانًا أنه المستحق له، وأن زواله عنه ممتنع. ومنهم المتفاخر بعطاء الله، بغيًا وطغيانًا، يستطيل بما يملك على الناس، فيريهم أنه فوقهم، ويستعبدهم، ويستميلهم بالتعظيم والخدمة، ويستعمل عطاء الله في معصية الله، ظانًا أن العطاء والخير بسبب سعيه وعلمه بوجوه الكسب. فمن كان من هؤلاء فليحذر العقوبة من الله في الدنيا أو أن لا يكون له نصيبًا من الآخرة.

العبرة في القصص الثلاث:

العبرة: الاعتبار، وهي الآية التي يعبر بها من منزلة الجهل إلى العلم، وأصله من العبور، وهو النفوذ من جانب إلى جانب؛ لأن المعتبر بالشيء تارك جهله وواصل إلى علمه بما رأى(١).

وهي الدلالة بالشيء على مثله، وحقيقتها الحالة التي يتوصل بها من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهدٍ(٢). ولذلك كانت العبرة تختص بمن شاهد أو سمع بحال المعتبر به، ولا تكون لصاحبها –المعتبر به– لأنه قد وقع فيما يوجب أن يعتبر منه ولا يمكن الرجوع منه، فكان الندم لازمًا له. وتتضح العبرة ويتجلى موضعها عند ظهور ندم المعتبر به. والندم: هو أسف الفاعل على فعل صدر منه لم يتفطن لما فيه عليه من مضرة، قال تعالى: ﴿**أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ**

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي، (٤١٨/١).

(٢) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي، (٢٣/٣).

﴿فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾ [الحُجُرَات: ٦](١). والندامة: التحسر من تغير رأي في أمر فائت، وأصله من منادمة الحزن له(٢). وحقيقة معنى الندم أنه وضع للزوم، ومنه سمي النديم نديمًا؛ لأنه يلازم المجلس(٣).

وقد ظهر الندم في قصة ابني آدم في قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ۝٣١﴾ [المَائِدَة: ٣١] أي إن القاتل من ابني آدم أصبح نادمًا أشد الندامة. وقد صور لنا الله في القرآن الكريم شدة ندمه بقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِي﴾ ومناداته للويل(٤) بقوله ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾ إيذانًا بورود الأمر الفظيع(٥). فهذه الكلمة تُستَعمل عند وُقُوعِ الدّاهِيَة العظيمة(٦)، فهي من صيغ الاستغاثة المستعملة في شدة التعجب مما يشبه المستبعد، وأصله يا لويلتي(٧). وقد تعجب القاتل تعجبًا شديدًا لعجزه عن الاهتداء إلى هذا العمل الظاهر الذي لم يخف

---

(١) **انظر:** التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٧٤/٦).

(٢) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، (٧٩٦).

(٣) التفسير البسيط، النيسابوري، (٣٤٥/٧).

(٤) والنِّدَاء وإن كان أصلُه لِمَنْ يتأتّى منه الإقْبَالُ وهم العقلاءُ، إلا أنّ العرب تتجوّز فتُنَادِي ما لا يَعْقِلُ. **انظر:** التفسير البسيط، النيسابوري، (٣٤٥/٧).

(٥) التفسير البسيط، النيسابوري، (٤٨٤/١١).

(٦) **انظر:** لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (٣٤/٢). اللباب في علوم الكتاب، النعماني، (٢٩٤/٧).

(٧) **انظر:** التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٧٣/٦). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، (١٠٠/٩).

حتى على الغراب(١)، فهل بلغ به العجز أن يكون أقل علمًا وتصرفًا من هذا الغراب!! فاحتقر نفسه بعد أن ترفع بها على أخيه ظنًا منه أنه المستحق لقبول القربان بدلًا منه، وقد كان ندمه متوجهًا نحو عجزه الذي لم يكن يعتقده، خصوصًا بمقارنة نفسه بهذا الغراب، وتصوير هذا الندم هو موطن العبرة من القصة، فلذة إفراغ ما في النفس من غِلّ وحسد وكبر لذة قصيرة ما يلبث صاحبها الظالم فرحًا بعمله حتى يندم ندمًا لا يثنيه ولا يحد به(٢)، وهكذا عاقبة المعاصي الندامة والخسارة(٣).

كما ظهر الندم الذي هو موطن العبرة في قصة صاحب الجنتين في قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ فقد صور القرآن لنا شدة ندم صاحب الجنتين وتحسره الذي ظهر حتى على جوارحه قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾، وتقليب الكفين: حركة يفعلها المتحسر(٤)، فيضرب إحدى اليدين على الأخرى تحسرًا على ما فعل(٥)، فصاحب الجنتين قلب كفيه ظهرًا لبطن، تلهفًا وأسفًا على ذهاب نفقته التي أنفقها في جنته ﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾(٦) فقد عظمت حسرته؛ من أجل أنه أنفق عمره في تحصيل الدنيا وكان معرضًا في كل عمره عن طلب الدين، فلما ضاعت الدنيا بالكلية بقي الحرمان عن الدنيا والدين عليه. فلهذا السبب قال نادمًا: ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾، وحرف

(١) **انظر:** اللباب في علوم الكتاب، النعماني، (٢٩٦/٧).
(٢) **انظر:** تفسير الراغب الأصفهاني، الأصفهاني، (٣٢٩/٤).
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (٢٢٩).
(٤) **انظر:** التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٣٢٧/١٥).
(٥) **انظر:** التفسير البسيط، النيسابوري، (٣٦٤/٩).
(٦) **انظر:** جامع البيان، الطبري، (٢٧/١٨).

النداء مستعمل في التلهف. و(ليتني) تَمَنٍّ مُراد به التّنَدُّم(١). فلو كان موحدًا مشرك لبقيت عليه جنته، فقد علم حين فنيت أن الآلهة الأخرى لم تغن ولايتهم عنه شيئًا(٢).

أما في قصة قارون فلم يخبرنا الله عن ندم قارون؛ لأن الخسف أخذه بغتة فهلك، ولكن أخبرنا الله عن ندم القوم الذين تمنوا مكانه حين خرج قارون في زينته، بقولهم: ﴿يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾، فهم لم يعملوا مثل عمله ولكن لما رأوا سوء عاقبته تندموا حتى على التمني الذي تمنوه سابقًا، قال تعالى: ﴿وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٢﴾ [القَصَص: ٨٢]، ومن شدة الندم جهروا به وامتلكهم العجب من تلك العقابة ومن خفي تصرفات الله تعالى في خلقه(٣)، فقالوا: متوجعين ومعتبرين، وخائفين من وقوع العذاب بهم يجهرون بذلك ندامة على ما تمنوه، ورجوعًا إلى التفويض لحكمة الله فيما يختاره لمن يشاء من عباده: ﴿وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ﴾ أي (ﷻ) يضيق الرزق على من يشاء، ويبسط لمن يشاء، وليس البسط دليلًا على الخير، فلولا فضله ومنته لواخذنا بما وقع منا من ذلك التمني، ولخسف بنا كما خسف بقارون لبطره وبغيه(٤). فقد تنبهوا على خطئهم في تمنيهم(٥)، وعلموا أن البطر والبغي لا

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٣٢٧/١٥).

(٢) **انظر:** مفاتيح الغيب للرازي، (٤٦٦/٢١). التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٣٢٨/١٥).

(٣) **انظر:** إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، (٢٧/٧). التحرير والتنوير، ابن عاشورر، (١٨٦/٢٠-١٨٨).

(٤) **انظر:** الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي، (٨٢٦). التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٨٦/٢٠). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (٦٢٣).

(٥) **انظر:** الكشاف للزمخشري، (٤٣٤/٣). إرشاد العقل السليم لأبي السعود، (٢٧/٧).

ينفع صاحبه، بل قد يجره إلى الكفر، كما جر قارون فهلك، ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

وتكامل العبرة من القصص الثلاث تظهر في إبراز نماذج كُلِّيَّة يندرج تحتها أفراد عدة، ليقاس عليها ويعمم حكمها لكل من تحقق فيه وصفها. فبالاعتبار، يتقي الزلل والعثار، وبالتجارب تعرف العواقب، وتدفع النوائب؛ فإذا تفكر الإنسان وقدر ونظر واعتبر وقاس ما يدله عليه فكره بما جربه هو ومن قبله تبين له ما يريد أن يتبينه، وظهر له معناه وحقيقته(١).

فالنموذج الأول كان في قصة ابني آدم؛ وهو نموذج منفر داعي للاعتبار والاتعاظ، نموذج الشخصية التي تمكن منها الحسد فجرها إلى بطر الحق وغمط الناس، وأوردها المهالك بارتكاب المعاصي، وكانت عاقبتها سوءًا.

والنموذج الثاني كان في قصة صاحب الجنتين وهو نموذج الشخصية التي تمكن الإعجاب منها فجرها إلى الترفع على الناس فبلغ الكبر منها مبلغها حتى كفرت بربها، فحرمها الله من النعم التي أنعمها عليها وكان عاقبة أمرها خسرًا.

والنموذج الثالث كان في قصة قارون، فهو نموذج الشخصية الباغية الطاغية المتكبرة على الناس بطرًا بما أنعم الله به عليها، وجحداناً بفضله، فأهلكها الله وأهلك النعم التي أنعمها عليها، فخسرت دنياها وآخرتها.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: ١١١].

(١) البرهان في وجوه البيان، ابن وهب الكاتب، (٥٥).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد (ﷺ). وفي نهاية البحث خلصت إلى هذه النتائج:

- التكامل الموضوعي في قصص القرآن هو إتمام موضوع معين بجمع أجزاءه من قصص القرآن لاستخراج الغاية الكبرى، وإظهار الجمال والتمام والترابط فيها.
- التكامل الموضوعي في قصص القرآن الكريم ضرورية منهجية تبرز العلاقات التكاملية بين قصص القرآن والموضوعات بمعانيها الكلية الشاملة.
- التكامل الموضوعي في الغاية والعبرة لقصص القرآن هو الإدراك التامّ لحقائق موضوعات قصص القرآن؛ وذلك بجمع الغايات المتشابهة، واستخراج الغاية الكبرى والعبرة الموحدة.
- يظهر التكامل الموضوعي في قصص القرآن باستنباط الوحدة الموضوعية للقصص القرآني.
- ظهر التكامل الموضوعي في القصص الثلاث بورود أهم مداخل الكبر بداية بالأخف وختامًا بالمهلك.
- التكامل الموضوعي في القصص القرآني للزمان والمكان والشخصيات يشير إلى أنها قد تقع متكررة، مما يعطي أهمية بالغة لموضوعها.
- للزمان والمكان في القصص القرآني تأثير واضح في موضوعها.
- ظهر التكامل الموضوعي في القصص الثلاث في نظم أحداثها، فاستفتحت بسبب التكبر، وتوسطها الوعظ، وجاء العقاب آخرًا، واختتمت بالغاية.

التوصيات:

- إحصاء وجمع ودراسة جميع العلاقات التكاملية بين القصص القرآني، بما يبرز الوحدة الموضوعية للقصص القرآني.

المصادر والمراجع

أولا: كتب التفسير وعلوم القرآن:

١] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي، محمد بن محمد، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢] الأساس في التفسير، حوّى، سعيد، دار السلام، القاهرة، ط: السادسة، ١٤٢٤هـ.

٣] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

٤] أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، عبد الله بن عمر، تحقيق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٨هـ.

٥] بحر العلوم، السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد، دار الكتب العلمية، تحقيق: علي معوض، عادل أحمد، زكريا النوني، بيروت، ١٤١٣هـ.

٦] البحر المحيط في التفسير، ابن حيان، محمد بن يوسف، تحقيق: صدقي محمد، دار الفكر،بيروت،١٤٢٠ هـ.

٧] تأويلات أهل السنة، الماتريدي، محمد بن محمد، تحقيق د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٨] التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، ابن عاشور، محمد الطاهر، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

٩] التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، أبو القاسم محمد بن أحمد، تحقيق د. عبدالله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٦هـ.

١٠] تفسير ابن باديس ((في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير))، الصنهاجي، عبد الحميد محمد بن باديس، علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

١١] التفسير البسيط، النيسابوري، علي بن أحمد، تحقيق: (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط. الأولى، ١٤٣٠هـ.

١٢] تفسير الراغب الأصفهاني، الأصفهانى، الحسين بن محمد، جامعة طنطا، ط. الأولى: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٣] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٤] تفسير القرآن الكريم «سورة القصص»، محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة الشيخ: محمد بن صالح العثيمين الخيرية، المملكة العربية السعودية، ط. الأولى، ١٤٣٦هـ.

١٥] تفسير القرآن، السمعاني، منصور بن محمد، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض، ط: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٦] تفسير النكت والعيون، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٧] تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، مصر، ط: الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.

١٨] تفسير المنار، علي رضا، محمد رشيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

١٩] التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي، محمد سيد، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط. الأولى.

٢٠] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م.

٢١] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، محمد بن جرير، توزيع: دار التربية والتراث، مكة المكرمة.

٢٢] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

٢٣] زاد المسير في علم التفسير، الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط. الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٤] عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، تحقيق محمد باسل السود، دار الكتب العلمية، ط. الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

٢٥] غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، الحسن القمي، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلميه، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٦هـ.

٢٦] فتح القدير، الشوكاني، محمد بن علي، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٤هـ.

٢٧] الكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري، محمود بن عمرو، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الثالثة – ١٤٠٧هـ.

٢٨] الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، أحمد بن إبراهيم، إشراف د. صلاح باعثمان، د. حسن الغزالي،جدة، ط: الأولى، ١٤٣٦هـ.

٢٩] لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، علاء الدين علي بن محمد، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥هـ.

٣٠] لباب التفاسير، الكرماني، أبو القاسم محمود بن حمزة، رسالة دكتوراة بقسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، تحقيق: إبراهيم دومري، من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الصافات، عام ١٤٢٩هـ.

٣١] اللباب في علوم الكتاب، النعماني، عمر بن علي، تحقيق: عادل عبد الموجود و علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٣٢] محاسن التأويل، القاسمي، محمد جمال الدين الحلاق، تحقيق: محمد عيون السود، دار الكتب العلميه، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٨هـ.

٣٣] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، عبد الحق بن غالب، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣٤] مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد، حققه: يوسف بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٣٥] معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، الحسين بن مسعود، تحقيق: محمد النمر، عثمان ضميرية، سليمان الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط. الرابعة، ١٤١٧هـ.

٣٦] مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الثالثة، ١٤٢٠هـ.

٣٧] الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، تحقيق: صفوان داوودي، دار القلم، الدار الشامية- دمشق، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٥هـ.

٣٨] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، إبراهيم بن عمر، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٣٩] الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي، علي بن أحمد، تحقيق: عادل عبدالموجود، وآخرون دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٤٠] الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.

٤١] البرهان في علوم القرآن، الزركشي، محمد بن عبد الله بن بهادر، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط. الأولى، ١٣٧٦هـ.

٤٢] دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل، دار المنار، ط. الثانية، ١٩٩٩م.

٤٣] معترك الأقران في إعجاز القرآن معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

سورة القصص دراسة تحليلية، د. محمد مطني، (١/ ١٧٨ بترقيم الشاملة آليًا).

ثانيا: الحديث وعلومه:

٤٤] تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد، حققه وعلق عليه: يوسف علي بديوي، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط. الثالثة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٤٥] التيسير بشرح الجامع الصغير، المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط. الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٤٦] جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، ابن رجب، أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. السابعة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٤٧] الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ﷺ) وسننه وأيامه، البخاري، محمد بن إسماعيل، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط. الأولى، ١٤٢٢هـ.

٤٨] سراج المريدين في سبيل الدين، ابن العربي، محمد بن عبدالله، ضبط نصه وخرج أحاديثه ووثق نقوله د. عبدالله التوراتي، دار الحديث الكنانية، طنجة، ط: الأولى، ١٤٣٨هـ.

٤٩] شرح الأربعين النووية، عطية سالم، (٥٦/ ٣ بترقيم الشاملة آليًا).

٥٠] المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ﷺ)، النيسابوري، مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥١] المنهاج في شعب الإيمان، الحَلِيمي، الحسين بن الحسن، تحقيق حلمي محمد فودة، دار الفكر، ط: الأولى، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

ثالثا: اللغة وآدابها:

٥٢] إعراب القرآن، النَّحَّاس، أحمد بن محمد، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢١هـ.

٥٣] الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، أبو المعالي، محمد بن عبد الرحمن، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت.

٥٤] البرهان في وجوه البيان (نشر من قبل باسم نقد النثر لقدامة بن جعفر)، ابن وهب الكاتب، إسحاق بن إبراهيم، تحقيق د. حفني محمد شرف، مكتبة الشباب (القاهرة)، مطبعة الرسالة، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

٥٥] بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادى، محمد بن يعقوب، تحقيق: محمد النجار، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٩٣هـ و١٤١٢هـ و١٤١٦هـ.

٥٦] التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه، ابن أبي ثعلبة، يحيى بن سلام، تحقيق: هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٩م.

٥٧] تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيدي، محمد بن محمد، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

٥٨] التلخيص في علوم البلاغة، القزويني، جلال الدين الخطيب، ضبطه وشرحه عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، بيروت، ط: الأولى، ١٩٠٤م.

٥٩] تهذيب اللغة، الهروي، محمد بن أحمد، تحقيق: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى، ٢٠٠١م.

٦٠] الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد، تحقيق: مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي، ١٣٧٥هـ.

٦١] جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت.

٦٢] حسن التنبه لما ورد في التشبه، الغزي، محمد بن محمد العامري، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، ط: الأولى، ١٤٣٢هـ.

٦٣] الخصائص، ابن جني، عثمان الموصلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. الرابعة.

٦٤] دراسات في القصة العربية الحديثة، محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د.ت).

٦٥] رياض الصالحين، النووي، محيي الدين، تعليق وتحقيق: د. ماهر ياسين الفحل، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – بيروت، ط. الأولى، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

٦٦] شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، الحميري، نشوان بن سعيد، تحقيق: د حسين العمري – مطهر الإرياني – د. يوسف عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت ودار الفكر، دمشق، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٦٧] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الفارابي، إسماعيل بن حماد، تحقيق أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط: الرابعة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٦٨] الصناعتين، العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت، ١٤١٩هـ.

٦٩] علم المعاني، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط: الأولى، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

٧٠] العمدة في محاسن الشعر وآدابه، القيرواني، الحسن بن رشيق، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط: الخامسة، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

٧١] الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا، د. إبراهيم جنداري، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ٢٠٠٠م.

٧٢] الكافي في البلاغة، أيمن أمين عبد الغني، دار التوفيقية، القاهرة.

٧٣] كتاب التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد الشريف، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

٧٤] كتاب العين، الفراهيدي، الخليل بن أحمد، تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٧٥] الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، المنتجب الهمذاني، حقق نصوصه وخرجه وعلق عليه: محمد نظام الدين الفتيح، دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، ط: الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٧٦] الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الحنفي، أيوب بن موسى، تحقيق عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٧٧] لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، بيروت، ط: الثالثة، ١٤١٤هـ.

٧٨] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد، تحقيق أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

٧٩] المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤٢١هـ.

٨٠] المحيط في اللغة، الصاحب، اسماعيل بن عباد، تحقيق: محمد آل ياسين، عالم الكتب، ط: الأولى، ١٤١٤هـ.

٨١] المخصص، ابن سيده، علي بن إسماعيل المرسي، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٨٢] معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، إبراهيم بن السري، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٨٣] معجم الفروق اللغوية العسكري، أبو هلال الحسن بن مهران، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي بـــقم، ط. الأولى، ١٤١٢هـــ.

٨٤] معجم اللغة العربية المعاصرة، د. عبد الحميد، أحمد مختار، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط: الأولى، ١٤٢٩هـــ - ٢٠٠٨م.

٨٥] معجم اللغة العربية المعاصرة، د. عبد الحميد، أحمد مختار، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط: الأولى، ١٤٢٩هـــ - ٢٠٠٨م.

٨٦] معجم ديوان الأدب، الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم، تحقيق د. أحمد مختار عمر، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٤هـــ - ٢٠٠٣م.

٨٧] مفردات القرآن - نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية، عبد الحميد الفراهي الهندي، تحقيق: د. محمد أجمل الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي، ط. الأولى، ٢٠٠٢م.

٨٨] المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، تحقيق: صفوان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق - بيروت، ط: الأولى - ١٤١٢هـــ.

٨٩] مقاييس اللغة، الرازي، أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـــ - ١٩٧٩م.

٩٠] موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط. الأولى - ١٩٩٦م.

٩١] نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري، أحمد بن عبد الوهاب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط: الأولى، ١٤٢٣هـــ.

أصول الفقه:

٩٢] بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، أبو بكر بن مسعود، ط. الأولى مطبعة شركة المطبوعات العلمية بمصر.

٩٣] المستصفى، الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط: الأولى، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

٩٤] الموافقات، الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، تحقيق: مشهور آل سلمان، دار ابن عفان، ط. الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

٩٥] التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، المرداوي، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان، تحقيق: د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح، مكتبة الرشد، الرياض، ط. الأولى، ١٤٢١هـ.

التاريخ والسير:

٩٦] تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط. الثانية ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م.

٩٧] الكامل في التاريخ، ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط. الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

العقيدة وفنون أخرى:

٩٨] إحياء علوم الدين، الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، دار المعرفة، بيروت.

٩٩] أمراض القلوب وشفاؤها، لابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، المطبعة السلفية – القاهرة، ط. الثانية، ١٣٩٩هـ.

١٠٠] تحفة الحبيب على شرح الخطيب = حاشية البجيرمي على الخطيب، البُجَيْرَمِيّ، سليمان بن محمد، دار الفكر، بدون طبعة، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

١٠١] كتاب المناظر، للحسن بن الهيثم، (٣١٥). ت: عبد الحميد صبرة، السلسلة التراثية، الكويت، ١٤٠٤هـ.

١٠٢] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، تحقيق: محمد البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١٠٣] مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، د. عثمان جمعة ضميرية، تقديم د. عبد الله بن عبد الكريم العبادي، مكتبة السوادي للتوزيع، ط. الثانية ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

١٠٤] المِرقاة في علم المنطق، فضل إمام الخير أبادي، مع حاشيتها التي في كشف المطالب والأدلة كاسمها، المرآة، محمد عماد الدين الشيركوتي.

المجلات:

أنساق الحدث في شعر مهيار الديلمي، علي قيس خفاجي، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد:٤٢/ ٢٠١٩م.

- المكان في النص الروائي، د. إبراهيم جنداري، مجلة أفق، الموصل، العدد: ٢، ١٩٩٨م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص باللغة العربية	١٦١٣
الملخص باللغة الإنجليزية	١٦١٥
المقدمة	١٦١٧
الفصل الأول: التعريف بالتكامل الموضوعي في قصص القرآن وأغراضه وأنواعه	١٦٢١
المبحث الأول: التعريف بالتكامل الموضوعي في قصص القرآن الكريم	١٦٢١
المبحث الثاني: أغراض التكامل في القصص القرآني	١٦٢٣
المبحث الثالث: أنواع التكامل الموضوعي في قصص القرآن الكريم	١٦٢٧
الفصل الثاني: التكامل الموضوعي في (قصة ابني آدم وقصة صاحب الجنتين وقصة قارون)	١٦٤٠
المطلب الأول: قصة ابني آدم	١٦٤٢
المطلب الثاني: قصة صاحب الجنتين	١٦٤٥
المطلب الثالث: قصة قارون	١٦٤٧
المبحث الثاني: التكامل الموضوعي في الزمان والمكان	١٦٥٠
المطلب الأول: التكامل الموضوعي في الزمان	١٦٥٠
المطلب الثاني: التكامل الموضوعي في المكان	١٦٥٤
المبحث الثالث: التكامل الموضوعي في الشخصيات والأحداث والحِوَار	١٦٦٠

المطلب الأول: التكامل الموضوعي في الشخصيات	١٦٦٠
المطلب الثاني: التكامل الموضوعي في الأحداث	١٦٦٣
المبحث الثالث: التكامل الموضوعي في البلاغة والأسلوب للقصص الثلاث	١٦٧٥
المبحث الرابع: التكامل الموضوعي في الغاية والعبرة للقصص الثلاث	١٦٨٥
الخاتمة	١٦٩٢
المصادر والمراجع	١٦٩٣
فهرس الموضوعات	١٧٠٦